بداية الهداية

للإمام الغزالى

تقديم وتحقيق وتعليق

الدكتور محمد زينهم محمد عزب

مكتبة مدبولي
القاهرة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ ١٩٩٣م

مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب القاهرة تلفون : ٧٥٦٤٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

والصلاة والسلام على أفضل خلق الله صاحب دعوة الحق محمد بن عبد الله ومعجزة التاريخ والمنارة التى يهتدى بها الإنسان كلما انبهمت الأمور وعلى آله وصحبه وبعد.

كانت العقيدة الإسلامية من بين العقائد الموروثة وهى التى تفرق بين شيئين متكاملين وهما الظاهر والباطن والمقصود بهما الشريعة وهى الباب الذى يدخل منه الجميع والحقيقة والتى لايصلها إلا المصطفين الأخيار وهذه التفرقة ليست تحكمية، وإنما تفرضها طبيعة الأشياء ذلك أن استعداد الناس متفاوت وبعضهم معد بفطرته لمعرفة الحقيقة.

وكثيراً ماتجدهم يشبهون الشريعة والحقيقة بالقشر واللب أو بالدائرة ومركزها.

ويقول الدكتور المرحوم فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه مقدمة فى منطق التصوف: والشريعة تتضمن ـ فضلا عن الناحية الاعتقادية ـ الناحية التشريعية والناحية الاجتماعية وهما جزآن لايتجزان عن الدين الإسلامى: إنها أولا وقبل كل شئ قاعدة للسلوك. أما الحقيقة فأنها معرفة محضة، بيد أن الباطن لايعنى فقط الحقيقة وإنما يعنى كذلك السبل الموصلة إليها أعنى الطرق التى تقود الإنسان من الشريعة إلى الحقيقة.

واذا رجعنا إلى الصورة الرمزية الدائرة ومركزها قلنا إن الطريقة هى الخط الذاهب من الدائرة إلى المركز، وكل نقطة على الدائرة هى مبدأ الخط. وهذه الخطوط التي لاتحصى، تنتهى ـ كلها ـ إلى المركز. إنها الطرق وهى طرق تختلف تبعا لاختلاف الطبائع البشرية ولهذا يقال الطرق إلى الله كنفوس بنى آدم، ومهما اختلفت فالهدف واحد: لأنه لايوجد إلا مركز واحد وإلا حقيقة واحدة. على أن هذه الإختلافات

الموجودة فى المبدأ تزول شيئا فشيئا من زوال الإنية وذلك حينما يصل السالك إلى درجات عليا تزول فيها صفات العبد التى ليست إلا سجناً الفناء فلا يبقى إلا الصفات الربانية البقاء.

والطريقة والحقيقة مجتمعان يطلق عليهما التصوف وهو ليس مذهباً خاصا لأنه الحقيقة المطلقة، وليست الطرق مدارس مختلفة لأنها طرق أى سبل موصلة جميعها إلى الحقيقة المطلقة: التوحيد واحد.

ومن الثابت علميا أنه لايمكن لأى فرد أن يمنح نفسه اسم صوفى اللهم إلا أصابه المرض أو الجهل، فالصوفى هو الذى يصل إلى درجات عليا بينه وبين ربه.

ويشرح لنا الدكتور عبد الحليم محمود عن أصل كلمة صوفى فيقول: فقد اختلف فيه إختلاف كبير ووضعت فروض متعددة وليس بعضها بأولى من بعض، وكلها غير مقبولة. إنها فى الحقيقة تسمية رمزية وإذا أردنا تفسيرها ينبغى علينا أن نرجع إلى القمة العددية لحروفها. وإنه لمن الرائع أن نلاحظ أن القيمة العددية لحروف صوفى تماثل القيمة العددية لحروف كلمة الإلهية فيكون الصوفى الحقيقى إذا هو الرجل الذى وصل إلى الحكمة الإلهية إنه «العارف بالله» إذ أن الله لايعرف إلا به، وتلك هى الدرجة العظمى «الكلية» فيما يتعلق بمعرفة الحقيقة.

خلاصة القول أن الصوفية ليست شيئا أضيف إلى الدين الإسلامى، إنها ليست شيئا أتى من الخارج فالصق بالإسلام وإنما هى بالعكس تكون جزءاً جوهريا من الدين، لذلك كانت فروضا رخيصة تلك التي تذهب بالصوفية إلى أصل أجنبى يونانى أو هندى أو فارسى وهى معارضة بالمصطلحات الصوفية نفسها تلك المصطلحات التى ترتبط باللغة العربية ارتباطاً وثيقاً.

وإذا كان هناك من تشابه بين الصوفية وبين مايماثلها فى البيئات الأخرى فتفسير هذا طبيعى لا يحتاج إلى فرض الأستعارة، وذلك إنه مادا من الحقيقة واحدة فإن كل العقائد السنية تتحد فى جوهرها وإن اختلفت فيما تلبسه من صور.

ويجب أن لا نعطى عناية كبيرة ـ حينما نتحدث عن أصل التصوف ـ لتلك

المناقشات التى لاتنتهى بين مؤرخى التصوف خاصة بتحديد الفترة الزمنية التى وجدت فيها لفضه صوفى. فإن الشئ قد يوجد قبل اسمه الخاص سوا ءوجد تحت اسم آخر أو وجد، ولم تكن هناك الحاجة لتسميته.

ولابد في التصوف من شرط جوهرى هو التاثير الروحى أو ماتطلق عليه البركة وهى لاتتأتى إلا بواسطة شيخ، ومن هنا كانت الطرق ومن هنا كانت السلسلة.

وهناك خطوات من أجل أن يسير الإنسان فى طريق التصوف:

١- استعداد نظرى خاص لايغنى عنه اجتهاد أو كسب.

٢- الإنتساب إلى سلسة صحيحة إذ أن البركة التى تحصل من الانتساب إلى السلسلة الصحيحة شرط أساسى لايصل الإنسان بدونه إلى أى درجة من درجات التصوف حتى البدائية منها.

٣- ثم يأخذ المتصوف الطيب الفطرة الذى باركه شيخه فى الجهاد الأكبر: التأمل الروحى وفى الذكر: أى استحضار الله فى كل ما يأتى وما يدع، وفى تركيز الذهن وفى الملأ الأعلى فيصل موفقا من درجة إلى درجة حتى يصل إلى أعلى الدرجات وهى حالة تسمو على حدود الوجود المؤقت فيصبح ربانيا: ذلك هو الصوفى الحقيقى.

من أسباب التصوف الشك

يعرف كثير من الناس التصوف بأنه المذهب القائل بالألهام والبصيرة أو اذا شئت فبالعلم الألهى: أى بهذا النوع من المعرفة اليقينية الذى لايتصور فيه الشك ولا تبعث به السفسطة، ولئن كان هذا التعريف غير منطبق تماما على حقيقة التصوف، فانه، لاريب، يرينا ما للمعرفة اليقينية من أهمية: فتصفية الروح ليست غرضا من أغراض الصوفية إلا لأنها تمهد للأتصال بالله، ولتلقى المعرفة عنه. ولا ريب أن معرفة تأتى عن طريق الألهام أو إذا شئت، فعن طريق الألوهية هى معرفة لايتطرق إليها الهدم، ولا تنهار أمام حجج المنطق بل أن هذه الآراء الغريبة التى تجدها أحياناً فى كلام الصوفية

هي في نظرهم لاتقل في ثبوتها عن البديهيات. وأنت تحاول عبثاً اذا أردت أن تبعث الشك في نفس الصوفي أو أن تحوله عن رأيه، اذ كيف يحيد عن فكرة يعتقد أنه تلقاها عن الملأ الأعلى، في فترة صفت فيها روحه وتطهرت؟ وكيف يكون على باطل وهو يعمل وفق ارادة وتعاليم عليا سامية على العكس من ذلك تماما نرى الشاك: فهو شخص لايعترف بحقيقة، أو لا يعترف بأن هناك طريقا يوصلنا إلى معرفتها على فرض وجودها. وعبثا تحاول أن تقنعه بعقيدة ما إذ هو لايقتنع إلا بالشك ولا يرضى عن رأيه بديلا. وأن يدهش لشئ فأنما يدهش لعدم اقتناعك أنت بفكرته في الشك التي يعطيك على صحتها البرهان تلو البرهان والحجة تلو الحجة حتى لتعترف «في النهاية» بأن رأيه له وجاهته وله قيمته.

يقين مطلق من جانب، وشك عميق من جانب آخر، اختلاف شاسع بل تعارض وتضاد.

رغم ذلك وبالرغم من أن محاولة التقريب، وعقد الصلة بن هذين المذهبين تبدو لكثير من الناس غريبة، فإني اعتقد أن الخلاف بينهما أقل مما نتصور: ذلك أن الصوفي والشاك يتفقان في المبدأ الذي بنى عليه كل منهما اتجاهه. أريد أن أقول: إن الفكرة التي حدت بالصوفي إلى التصوف هي نفس الفكرة التي أدت بالشاك إلى رأيه. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فأن الشك نفسه كثيراً ما يؤدي إلى التصوف.

***

كلنا يعلم أن هناك طريقين للمعرفة: ـ هما الحواس والعقل. فمعرفتي بالشئ تنتج عن أني أراه وأحسه أو أني أستنتجه بدليل عقلي.

كثير من الناس بل الأغلبية الساحقة منهم تأخذ المعرفة الناشئة عن هذين الطريقين قضية مسلمة لاتقبل جدلا، ولا يحيط بها شك. ولكن في العالم أيضاً ذلك الشخص الذي يرى أنه مادامت الحواس تخطئ فهي ليست أهلا للثقة: أني أرى السراب فأحسبه ماء، وتسيطر على فكري صورة من الصور وتقوى هذه السيطرة فأرى الصورة ممثلة أمامي، والمريض يرى خيالات لا حقيقة لها، والخائف يرى أشباحاً ويسمع أصواتاً

لاوجود لها. أن الأمثلة على ذلك لاتحصى وكل يوم، بل كل فترة تعطينى دليلاً على خطأ الحواس. فهل بعد هذا أثق بمعرفة تأتى عن طريقها ؟ كلا.

بقى العقل. ولكن ما قيمته؟ كل ينتسب إليه ومع ذلك فلا تجد اثنين على اتفاق تام. أن هذه المذاهب الفلسفية التى لاتكاد تعد، كلها مبنية على العقل وكلها مؤسسة عليه وقائمة به، وكلها جذابة أخاذة تغرى بقوة أدلتها وتستولى عليك بصرامة منطقها، ومع دلك فلا تكاد تتفق فى شئ ما ثم ماذا؟ ألم يبرهن أحدهم ببرهان عقلى منطقى على أن الأرنب لايلحق بالسلحفاء، مهما أسرع فى العدو إذا بدأت السلحفاء قبله وسبقته بمتر أو مترين؟ ألم يبرهن أحدهم على أن السهم فى سيره لايتحرك وأنت نفسك أليست آراؤك فى حالة التخمة غيرها فى حالة أخرى، وفى حالة السرور غيرها فى حالة الحزن، ثم البراهين التى ترى قوتها وتعتقد فيها فى حالة الحلم ليست أقل من أن يقال عنها أنها براهين عقلية.. وهكذا إذا أخذت فى تعداد الأمثلة على عدم مقدرة العقل فانك لا تقف عند حد.

***

أخطأت الحواس فلا ثقة فيها. وأخطأ العقل فلا ثقة به. فهل معنى ذلك أن لا سبيل إلى معرفة الحقيقة؟ نعم، يجيبنا الشاك، وسنمكث إلى الأبد محكوماً علينا بالجهل أو إذا شئت بعدم المعرفة الصحيحة.

ولكن الصوفى بعد أن سار هذه الخطوات، ووصل إلى الشك فى قيمة الحواس والعقل، وفى قيمة المعرفة الناشئة عنهما، يعود فيثبت المعرفة عن طريق آخر: هو الألهام أو البصيرة أو العلم اللدنى كما يقولون.

قطع الصوفى والشاك المرحلة الأولى إذاً معاً: فوصلا إلى الشك فرضى به أحدهما، واقتنع بأن لا مطمع وراءه، وخطا الآخر خطوة أخرى. خطاها لاليضع لنفسه منطقاً أو منهجاً يسير عليه ليعتصم من الزلل الذى توقعه فيه حواسه ويوقعه فيه عقله، كما يفعل الفلاسفة، وإنما ليصل إلى معرفة من طريق آخر لايتسرب إليه الشك.

لنلقى الآن نظرة على النفس الإنسانية فنرى أنها لاتحب الإقامة على الشك، ولا ترغب فى إتخاذ الأنكار مذهباً وقاعدة. وأنها على كثرة حب المعرفة وشغفها بالاستطلاع، تريد دائما أن تجعل اليقين قاعدة آرائها وأعمالها، ونرى أيضاً أن من أشق أوقات الإنسان تلك الفترات التى تضطرب فيها نفسه، وتتذبذب آراؤه. ويختلط عليه الأمر. هذه الحالة تبعث فى النفس الضيق والكآبة فإذا اشتدت واستعمرت سببت أحيا الانتحار، وأحياناً الجنون، ولكنها أيضاً فى كثير من الأحيان تؤدى إلى التصوف. نعم ، تؤدى إلى التصوف، حيث يجد الشخص ملجأ تستقر فيه نفسه، وتهدأ وتسكن، حيث يجد اليقين، والإيمان، والعلم الثابت.

لقد كان الحارث بن أسد المحاسبى متعطشاً إلى المعرفة، والبحث، والاطلاع وإلى الوصول لرأى لايعتوره الشك، إلى رأى يقينى ثابت لا يتزلزل ولكنه بعد أن بحث زاد شكا بدل أن يزيد إيماناً، واضطربت نفسه وخشى أن يأتيه الموت فجأة قبل أن يعتصم بحبل الله المستقيم: فكد وجد ثم يئس من أن يصل إلى النتيجة، ولكن الله وفقه فى النهاية إلى الإتصل بقوم صالحين فسكن إليهم وأخلد. سكن إليهم وأخلد لا لأن منطقهم أوجد عنده اليقين، ولا لأن براهينهم بعثت فى نفسه الاطمئنان وإنما سيماهم على وجوههم تبعث الثقة وتهدى إلى الرشاد.

لندع المحاسبى نفسه يصور حالته والنص الذى نثبته الآن من مخطوط له بدار الكتب المصرية لم يطبع بعلم اسمه «النصائح». وقد تعمدت اثبات هذا النص كاملا لما بينه وبين كلام الغزالى فى كتابه «المنقذ من الضلال» من شبه يهم كل باحث فى التصوف معرفته.

قال المحاسبى بعد مقدمة بسيطة «أما بعد» فقد إنتهى إلينا أن هذه الأمة تفترق على بضع وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية، والله أعلم بسائرها. فلم أزل برهة من عمرى أنظر إختلاف الأمة، وألتمس المنهاج الواضح، والسبيل القاصد، وأطلب من العلم والعمل، واستدل على طريق الآخرة بإرشاد العلماء، وعقلت كثيراً من كلام الله عز وجل بتأويل الفقهاء، وتدبرت أحوال الأمة ونظرت فى مذاهبها، وأقاويلها، فعلقت من ذلك

ماقدر لى، ورأيت إختلافهم بحراً عميقاً قد غرق فيه ناس كثير، وسلم منه من خالفهم، ثم رأيت الناس أصنافاً: فمنهم العالم بأمر الآخرة، ولقاؤه عسير ووجوده عزيز؛ ومنهم الجاهل، فالبعد غنيمة؛ ومنهم المنشبه بالعلماء، مشغوف بدنياه، مؤثر لها؛ ومنهم حامل علم منسوب إلى الدين، ملتمس بعلمه التعظيم والعلو، ينال بالدين من عرض الدنيا؛ ومنهم حامل علم لايعلم تأويل ماحمل؛ ومنهم متشبه بالنساك، متجر بالخير، لأغناء عنده، ولا بقاء لعلمه، ولا معتمد على رأيه؛ ومنهم منسوب إلى العقل والدهاء، مفقود الورع والتقى ومنهم متوادون على الهوى يتفقون، وللدنيا يتباذلون ورياستها يطلبون؛ ومنهم شياطين الأنس عن الآخرة يصدون، وعلى الدنيا يتكالبون، وإلى جمعها يهرعون، وفى الأستكثار منها يرغبون، فهم فى الدنيا أحياء وعن العرف موتى بل العرق عندهم منكر والسوء معروف.

فتفقدت فى الأصناف نفسى، وضقت بذلك ذرعا، فقصدت إلى هدى المهتدين بطلب السداد والهدى، واسترشدت العلم، وأعملت الفكر، وطلت إرشادهم النظر، فتبين لى فى كتاب الله تعالى وسنة نبيه وأجماع الأمة أن أتباع الهوى لايرجون يعمى عن الرشد، ويضل عن الحق، ويطيل المكث فى العمى، فبدأت بالصبر على بأسقاط الهوى عن قلبى، ووقفت عند إختلاف الأمة منرتاداً لطلب الفرقة يحببون الله الناجية حذراً من الأهواء المردية والفرقة الهالكة متحذراً من الاقتحام الإنابة إلى قبل البيان، والتمست سبيل النجاة لمهجة نفسى، ثم وجدت باجتماع الأمة فى فقهاء كتاب الله المنزل أن سبيل النجاة فى التمسك بتقوى الله وأداء فرائضه والورع تاركين التعس فى حلاله وحرامه وجميع حدوده والأخلاص لله تعالى بطاعته والتأسى والظلم والأقتداء برسوله صلى الله عليه وسلم فطلبت معرفة الفرائض والسنن عند العلماء رالآثار، ورعين في فرأيت اجتماعاً وإختلافاً، ووجدت جميعهم مجتمعين على أن علم الفرائض للشهوات والسنن عند العلماء بالله، وأن الفقهاء عن الله العاملين برضوانه الورعين عن الحلال، محارمه المتأسين برسوله صلى الله عليه وسلم المؤثرين الآخرة على الدنيا: أولئك على أنفسهم المتسكون بأمر الله وسنن المرسلين.

فالتمست من بين الأمة هذا الصنف، المجتمع عليهم، والموصوفين، الحزن الدائم اقفو

آثارهم وأقتبس من علمهم، فرأيتهم أقل من القليل، ورأيت علمهم وصفوا للآدا مندرسا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً وعلمت أن آد»ه كما بدأ فطوبى للغرباء»، وهم المنفردون بعلمهم، فعظمت مصيبتى بفقد الأدلاء ولايقوم بحد الأتقياء»، وخشيت بغتة الموت أن يفجأنى، على اضطراب من عمرى، العاملون بطريق لاختلاف الأمتو فانكمشت فى طلبى عالما لم أجد لى من معرفته بداً، لم أقصر بهم، والهادو فى الاحتياط، ولم أن فى النصح، فقيض لى الرءوف بعباده قوما وجدت فوائدهم، قابلا فيهم دلائل التقوى، وأعلام الورع، وإيثار الأخرة على الدنيا، ووجدت أحداً، ففتح إرشادهم ووصاياهم موافقة لأفاعلى أئمة الهدى: مجتمعين على نصح الأمة لايرجون أحداً فى معصيته، ولا يقنطون أحداً من رحمته، يرضون أبدا بالصبر على البأسا والضراء»، والرضى بالقضاء»، والشكر على النعماء»، يحببون الله تعالى إلى العباد بذكرهم أياديه وإحسانه، ويحثون العباد على الإنابة الى الله تعالى علماً بعظمة الله تعالى وعظيم قدرته وعلما بكتابه وسنته.

فقهاء فى دينه، علماء بما يحب ويكره، ورعين عن البدع والأهواء»، تاركين التعمق والإغلاء»، مبغضين للجدال والمراء متورعين عن الإغتباب والظلم والأذى، مخالفين لأهوائهم محاسبين لأنفسهم، مالكين لجوارحهم ورعين فى مطاعمهم وملابسهم وجميع أحولهم، مجانبين للشبهات، تاركين للشهوات، متجرئين بالبلغة من الأقوات، متقللين من المباح، زاهدين في الحلال، مشفقين من الحساب، وجلين من المعاد، مشغولين ببثهم مؤثرين على أنفسهم من دون غيرهم، لكل أمرئ منهم شأن يغنيه. علماء بأمر الآخرة، وأهاويل القيامة، وجزيل الثواب، أليم العقاب، ذلك أورثهم الحزن الدائم، وألهم المضنى، فشغلوا عن سرور الدنيا ونعيمها، ولقد وصفوا للآداب صفات، وحددوا للورع حدوداً، ضاق لها صدرى، وعلمت أن آداب الدين وصدق الورع بحر لاينجو من الغرق فيه شبهى ولا يقوم بحدوده مثلى: فتبين لى فضلهم، واتضح لى نصحهم، وأيقنت أنهم العاملون بطريق الآخرة، والمتأسون بالمرسلين، المصابيح لمن استعناء بهم والهادون لمن استرشدهم، فأصبحت راغباً فى مذهبهم، مقتبساً من فوائدهم، قابلاً لآدابهم، محباً لطاعتهم؛ لا أعدل بهم شيئاًو ولا أوثر عليهم أحداً، ففتح الله لى علماً انفتح لى

برهانه، وأنار لى فضله، ورجوت النجاة لمن أقربه أو انتحله، وأيقنت بالغوث لمن عمل به، ورأيت الأعوجاج فيمن خالفه، ورأيت الرين متراكماً على قلب من جهله وجحده، ورأيت الحجة البالغة لمن فهمه، ورأيت انتحاله والعمل بحدوده واجباً على واعتقدته في سريرتى، وانطويت عليه بضميرى، وجعلته أساس دينى، وبنيت عليه أعمالى، وتقلبت فيه بأحوالى، وسألت الله عز وجل أن يوزعنى شكر ما أنعم به على، وأن يقوينى على التيام بحدود ما عرفنى به، ومع معرفتى بتقصيرى فى ذلك وإنى أدرك شكره أبداً، إنتهى كلام المحاسبى.

وليس المحاسبى بدعاً فى ذلك وإنما يتفق معه الإمام الغزالى. بل الإمام الغزالى أوضح وأدق.

حاول أن تتصور معى بالضبط حالة الإمام الغزالى النفسية فستجده متلهفاً على المعرفة، محباً للاطلاع والدرس والبحث، غارقاً فى محيط الفلسفة والعلم، ولكنه مع كثرة إطلاعه وتنقيبه لم يجد فى المذاهب الفلسفية مايرضيه، ولم يجد فى الأدلة العقلية المؤسسة عليها هذه المذاهب ما يقنعه ورأى أن من العبث أن يبدأ فى تأليف مذهب فلسفى جديد إذ مصير ذلك حتما مصير ماسبق من المذاهب التي إن أخذت بألباب كثير من الناس، فإنها لاتثبت أما النقد الصارم، والتى تبعث التفرقة، إذ ليس فيها من القوة البرهانية مايقنع الجميع.

ليس هناك إلا الشك إذاً.

وفى الواقع لقد شك الإمام الغزالى.، شك فى الحواس وشك فى العقل وشك فى ماينتج عنهما من معرفة، ولكن نفسه اضطربت ونحل جسمه وضاق بالحياة ذرعاً ولم يجد ملجا ولا عاصما من هذه الحيرة وهذا الأضطراب إلا التصوف، فولج بابه، واطمأن إليه. وكتابه المنقذ من الضلال الذى يقص فيه تطوره الفكرى يصور هذا خير تصوير.

وكما يبدأ المحاسبى بحديث «ستفترق أمتى ثلاثاً وسبعين فرقة الناجية منها واحدة» كذلك يبدأ الغزالى بهذا الحديث، وتكاد بعض جمله تكون مأخوذة من كلام المحاسبى نفسه: مما دعا بعض المستشرقين إلى أن يذكر أن الغزالى فى كتابته الكتابه هذا تأثر

بالمحاسبى فى كتابته لمقدمة كتاب «النصائح».

وسواء كان هذا صحيحاً أو غير صحيح، فما لا شك فيه أن الإمام الغزالى قرأ هذا الكتاب إذ أنه استشهد ببعضه فى الأحياء، والذى يعنينا الآن هو أن الإمام الغزالى، كما يصور فى كتابه، بدأ يشعر بعدم الاطمئنان حينما فكر فى هذا الحديث الشريف، حينما رأى أن إختلاف الخلق فى الأديان والملل ثم إختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتبَاين الطوق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نجا منه إلا الأقلون، وكل فريق يزعم أنه الناجى وكل حزب بمالديهم فرحون. لهذا أخذ الإمام الغزالى فى البحث جهد طاقته ليصل إلى اليقين «الذى ينكشف فيه المعلوم إنكشافاً لايبقى معه ريب، ولا يقارنه إمكان الغلط والوهم، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك، ثم يقول وعلمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين. فهو علم لاثقة به، ولا أمان معه، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقينى». ثم فتشت عن علومى فوجدت نفسى عاطلا من علم موصوف بهذه الصفة إلا فى الحسبات والضروريات، ولكن انتهى بى طول التشكك إلى أن لم تسمح نفسى بتسليم الأمان فى المحسوسات أيضا. ثم أخذ الإمام الغزالى يذكر أسباب شكه فى المحسوسات وفى الضروريات وفى العقليات وقد ذكرنا طرفا منه آنفا.

واستمر الإمام على تلك الحالة «حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقا بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل أو ترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى فى الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف. فمن ظن أن الكشف موقوف على الزدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله الواسعة، ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن «الشرح» ومعناه فى قوله تعالى «فمن برد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام» فقال «هو نور يقذفه الله تعالى فى القلب. فقيل وما علامته؟ فقال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود» وهو الذى قال عليه السلام فيه: «إن الله تعالى خلق الخلق فى ظلمة ثم رش عليهم من نوره» فمن ذلك النور ينبغى أن يطلب الكشف، وذلك النور ينبجس من الجود الإلهى فى بعض الأحايين، ويجب الترصد له كما قال عليه السلام: إن لربكم

فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ».

هذا الشك الذى حدا بالغزالى إلى التصوف، كما حدا بالمحاسبى قبله، هو شك أتى من البحث وراء الحقيقة.

ولكّننا لانريد أن نقول إن هذا النمط من الشك، هو وحده، أساس التصوف وإنما نريد أن نقول أن أساس التصوف هو الشك على الإطلاق: سواء كان هذا الشك يتصل بالناحية الفكرية أو بالناحية الاجتماعية أو بالناحية الوجدانية، فهذا الشخص الذى صدم فى عاطفة من عواطفه، وكثيراً ماتكون عاطفة الحب تلك العاطفة القوية الجامحة التى تهز النفس هزاِ والتي تؤدى كثيراِ إلى الانتحار، هذا الشخص الذى صدم فى تلك الناحية قد تصل به الصدمة إلى الشك فى كل شخص، أو إلى الشك فى أن يجد مثاله الأعلى فى هذه الحياة فيتجه إلى حياة العزلة والانفراد، أو يعتكف فى مسجد أو فى بيته، عابداً مصلياً طالباً من الله أن يكون عماده، وأن يكون ملجأه، وأن يصرف عنه السوء.

وهذا الشخص الرقيق المزاج الذى يرى فى كل أونه ظلم الناس وفساد الحياة، والذى لايجد فى نُفسه القوة على الجلاد والصراع، والذى يصل به الآمر فى النهاية إلى الشك فى المجتمع وفى أهله، فيضيق بالحياة ذرعاً، لابجد مفراً من أن يعتكف متأملا مفكراً فى مثل عليا أو فى حياة أخرى أو فى ملإ أعلا صفت فيه النفوس وتطهرت وسمت عن كل دنس.

وهكذا إذا بحثنا فى حياة هؤلاء الذين أطلق عليهم اسم الصوفية فأننا لجد دائما نقطة الارتكاز: الشك.

الشك ومدارج السالكين

ولكن تلك الحياة التى يتجهون إليها، تلك الحياة الجديدة التى أخذت من النفوس كل مأخذ، والتى اتجهوا إليها فى تحمس وحرارة، ولاتزيل من أنفسهم الشك بجميع

ألوانه. حقيقة أنها تزيل من أنفس هؤلاء الذين شكوا من الناحية الدينية الشك فى تلك الناحية، وتنسى الآخرين الشك الذى دفعهم إلى حياة التصوف دفعا؛ ولكن التى تنجه إلى الحياة الدينية فى حرارة وتحمس أنما تتجة نحو الكمال من الناحية الدينية، وهذا الكمال أول مايبدأ يبدأ بالتوبة، ومن المعقول المنطلق أن ذلك الشخص الذى اتجه فى تحمس إلى الناحية الدينية يرى فى ماضيه كثيراً من الأخطاء فلا تهدأ نفسه ولا تستقر إلا أذا خضع لله ساجداً مستغفراً لنفسه طالباً من الله الصفح والرضاء ولكنه لايكاد يتخطى تلك الفترة إلا ويعترضه الشك فى كثير مما يتصل بحياته العادية اليومية ويكاد يتساءل فى كل لحظة أهذا حلال أم حرام، طيب أم خبيث، حسن أم قبيح، ويرضى الله أو لا يرضيه ويتحرج فى المأكل والمشرب والملبس، رهذا هو، الورع، وسببه كما ترى الشك. ولكنه مهما تحرج فى مأكله ومشربه وملبسه، ومهما تحفظ واحتاط، فأنه سيجد دائما أن ذلك لايكفى ويشك فى كل لحظة وآونة ويندم على مافات، وتقوى فى نفسه الحرارة الدينية فيرى أن كل لمايتصل بالحياة الدنيا، وأن هو لا لهو ولعب وضلال وباطل وأن خير طريق إن أراد الهداية أو الرشد، إن هو إلا الزهد فى تلك الحياة التى لاتساوى عند الله جناح بعوضة.

توبة ثم ورع ثم زهد، تلك هى بالتتابع بعض مايسميه الصوفية مقاماتهم ولكن الكمال كما قلنا ليس له من غاية أو من حد، نعم وصل صاحبنا إلى الزهد فى تلك الحياة ولكن أهذا هو المطلوب؟ أنه إنسان وطبيعته الحيوانية مهما قويت إرادته تجذبه إلى الحياة الدنيا، وترغبه فيها، وتبعث فيه السخط على حياته، ويحصل ذلك الصراع العنيف بين المادة والروح، كما صوره أناتول فرانس فى رواية تاييس تصويراً بديعاً وصوره المحاسبى فى كتابه«بدء من أناب الله» وفى كتاب «الرعاية» تصويراً دقيقاً إلى أقصى حد من الدقة.

هذا الصراع يبعث فى نفس الصوفى اضطرابا لامزيد عليه بل يبدأ الصوفى يشك فى نفسه، وفى قيمته الذاتية، ويكاد يصل به الأمر إلى أن يعتقد فى تخلى المعرنة أو التوفيق الالهى عنه لأنه ليس أهلا لهما، ونجده فى تلك الآونة يبكى، ويتألم، ويضرع إلى الله أن يمنحه معونته، وأن يصفح عنه اذا كان قد أخطأ بدون علم منه، ويعترف

بأن لاقيمة له فى الواقع أمام تلك القدرة العظيمة، وكل مايرجوه أو يأمله أن يكون عبداً وأن يمنحه السيد شيئاً من عنايته أو توفيقه أو رضاه. يستمر صاحبنا ؛ذلك فترة من جماحها وتهدئ من ثورتها حتى يصل إلى الرضى، وهذا هو المقام الرابع وهو أرقى بدون شك من الزهد، ولكن أذلك هو الكمال؟

لم يقل الصوفى ولا يمكن أن يقول أن معنى الرضى هنا انقطاع كل الرغبات والشهوات أو زوال الآمال والطموح، كلا، إنما معناه أن تلك الثورة التى كادت تودى بصاحبنا وتجعله يعود إلى حياته الأولى هدأت، وانتصرت عليها النحية الروحية. وليس السبب فى هذا حسب رأيه قوة ارادة أو ذاتية وأنما ذلك توفيق من اله، تلك معونة منه، وأراد به خيراً، أراد به الهداية والرشد، فماذا يستحق ذلك الخالق الذى أعانه من غير أن يكون فى حاجة اليه والذى هداه من غير أن يكون فى تلك الهداية نفع للخالق جل وعلا. أنه اذا لم ينصرف إلى الله انصرافاً كلياً وجزئياً كان مقصراً، وليس كل التقصير فى مرتبة واحدة فذلك تقصير فى حق الإله الذى منح الحياة، والذى أفاض النعم، والذى غمره باطمئنان النفس، وانتشله من الضلال، ورفعه إلى مكانة منحه فيها معونته. ويبدأ الشك فى خلجات نفسه وفيما يبدو من دقائق الرياء ثم ينتهى إلى الانصراف المطلق ـ فى حدود الامكان ـ إلى تلك الذات العليا الكاملة، ولكن هذه الذات مهما فكر فيها وتأمل، يجد دائماً فى نفسه الرهبة منها فيزيده ذلك انصرافاً اليها ويجهد نفسه فى ذلك الانصراف إلى الله حتى اذا استمر فى ذلك منحه الله من فيضه وتحولت الرهبة شيئاً فشيئاً إلى حب عميق ثم إلى رؤية الله فى كل ناحية وفى كل جانب أو فى كل مكان ثم إلى الفناء فى تلك القوة التى أخذت عليه سمعه وبصره فأعلن أو أسر «مافى الجبة غير الله».

أما بعد فأنى لا أعتقد أنى ابتعدت كثيراً، فى كل ما سبق عن النص الآتى بل اعتقد أن كثيراً مما سبق لم يكن إلا شرحا له، والنص للسهروردى ذكره فى كتابه عوارف المعارف فى نهاية الفصل المعنون: ماهية التصوف.

قال السهروردى – وأقوال المشايخ فى ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضابطاً يجمع حل معانيها فأن الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعانى فنقول:

الصوفى هو الذى يكون دائم التصفية، لايزال يصفى الأوقات عن شوب الأكدار بتصفية القلب عن شوب النفس. ويعينه على هذه التصفية دوام افتقاره إلى مولاه، فيداوم الافتقار ينقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها أدركها ببصرته النفزة، وفر منهما إلى ربه، فيداوم تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره، فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه وقال الله تعالى «كونوا قوامين لله شهداء بالقسط» وهذه القوامية لله على النفس هى التحقق بالتصوف. قال بعضهم التصوف كله اضطراب فإذا وقع السكون فلا تصوف. والسر فيه: أن الروح مجذوبة إلى الحضرة الآلهية، يعنى أن روح الصوفى منطلقة منجذبة إلى مواطن القرب، وللنفس بوضعها رسوب إلى عالمها وانقلاب على عقبها ولابد للصوفى من دوام الحركة بدوام الأفتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس. ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفى جميع المنفرق فى الاشارات.

التصوف والدين الإسلامى

للتصوف صلة بالدين؟ الواقع أن الإنسان يصعب عليه أن يتصور صوفياً لايؤمن بالله واليوم الآخر. ذلك لأن التصوف لايخلو من الغاية وغايته دائما - حسب مانعلم- روحية: رضاء الملأ الأعلى، حب الله، الإتصال به، الفناء فيه. أو الاتحاد بذاته العليا، تلك هى الأغراض التى يسعى إليها أو إلى بعضها الصوفى. لذلك لايمكننا أن نتصور شخصا ليس بمؤمن يسعى إليها، وكل مايمكننا أن نتصوره وإن كان فيه شئ من الغرابة هو تصوف الرجل الذى لايؤمن إلا بالله، ذلك أن الإيمان بالله يستلزم الإيمان بكماله والسعى وراء هذا الكمال وإذا: مجاهدة ضد النفس والأهواء والشهوات، حتى يصل الإنسان إلى أولى تلك الخطوات التى وضحناها سابقا ثم ينتقل منها شيئا فشيئا نحو الكمال أو نحو المثل العليا، ولعل حالة هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يسمون فى الجاهلية بالحنفاء مما يقرب فهم ذلك بعض التفريب، وهم قوم رأوا كما رأى قس بن ساعدة أن هذه السماء ذات الأبراج وهذه الأرض ذات الفجاج إلى آخر ماقاله فى خطبته

ترشد إلى أن هناك صانعاً مديراً، وإلى أننا لم نوجد على ظهر تلك البسيطة عبثا، وإذا كنا لانعلم الكثير عن حياة هؤلاء القوم النفسية فأننا نعلم أن محمد صلى الله عليه وسلم لم يسجد لصنم ولم ينغمس فيما إنغمس فيه أهل عصره وإنما كان فى نفسه مثال أعلى، غامض بدون شك أو مبهم، بحياة أخرى روحية تخالف تمام المخالفة ماكان عليه أقرابه ومعاشروه ولو صور لنا محمد صلى الله عليه وسلم ماكان يجول بخلده قبل الرسالة لرأينا حياة روحية، فيها التأمل الروحى العميق، فيها المادة للروح وانهزامها أماما بسبب قوة تلك الإرادة التى لم تفارق الرسول صلى الله عليه وسلم فى أشد لحظاته حرجا. تلك الناحية الروحية عند محمد صلى الله عليه وسلم التى كانت تشتد فتسيطر عيه سيطة كليه وجزئية فتجعله يهرب من العالم، ومن تلك الحياة الدنيا التى ليست إلا زينة ولعباً وتفاخراً وتكاثراً بالأموال والأولاد، فيفر منها ويعتزلها، ويذهب إلى غار حراء متأملا مفكراً، تلك الحياة التى هذا شأنها ليست إلا تصوفا لم تصقله بعد الرسالة فتصل به إلى أسمى مراتبه. وتناقش الناس كثيراً فى تصوف محمد صلى الله عليه وسلم، وسخر بعضهم حينما كانوا يسمعون أن محمداً صلى الله عليه وسلم أول صوفى فى الإسلام.

الواقع أن التصوف لايعدو أن يكون جهاداً عنيفاً ضد الرغبات ليصل الإنسان إلى السمو أو إلى الكمال الروحى ليكون عارفاً بالله وليس من المحتم أن يكون من عناصره فكرة الاتحاد أو الوحدة أو الفناء فى الله. هذا هو المحاسبى الذى لاشك فى أنه من زعماء الصوفية ليست عنده فكرة الأتحاد أو الحلو ل أو ماشاكل ذلك من الأفكار التى تصل إلى بعض الصوفية حينما تسيطر عليهم فكرة الله فتأخذ بنفوسهم وحواسهم وتأخذ بكل مافيهم من تفكير فيرون فى النهاية أنه أنما تولوا افثم وجه الله، وأن الله معنا أينما كنا وأن مافى الجبة غير الله.

نعود فنقول إذا كان ذلك ليس من عناصر التصوف اللازمة له وأن عنصره الأساس كما يتضح ذلك من تاريخ الصوفية - المحاسبى أو الغزالى أو رابعة العدوية أو كثير غيرهم - ليس إلا الجهاد لرضاء الله، وتزكية النفس حتى تعرف الله به، إذا كان الأمر كذلك فأننا نعتقد - ولسنا فى ذلك الرأى من المجددين - إن محمداً صلى الله عليه

وسلم كان أول صوفى فى الإسلام.

بقى الحديث عن القرآن، وقد كثر الكلام فيه هو أيضاً، ومحط النزاع هو أن القرآن كتاب دنيا وآخرة، يدعو إلى هذه وتلك، ويقول بكل بساطة «ولا تنس نصيبك من الدنيا».

أما التصوف فهو توكل وزهد وليس له من هذه الحياة الدنيا قليل ولا كثير. والحقيقة أن كلا من هذين الرأيين يحتاج إلى تحديد فالقرآن ليس كتاب دين ودنيا على الإطلاق والصوفى ليس رجل آخرة فقط على الإطلاق.

أجل، إن القرآن يدعو إلى ألا ننسى نصيبنا من الدنيا، وإلى أن نكون أقوياء، وإلى أن السن بالسن والعين بالعين والأنف بالأنف والجروح قصاص، وإلى أن الجهاد واجب على كل مسلم، وأسس القرآن تشريعاً لكثير من المشاكل الدنيوية، كل هذا صحيح، ولكننا لو نظرنا بتأمل لوجدنا أن الحياة الآخرة فى نظر القرآن خير وأبقى، وأن أكرمكم عند الله أتقاكم، وأن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر، وأنها لاتساوى عند الله جناح بعوضة وأن مافى القرآن من دعوة إلى الجهاد إنما هو لإعلاء كلمة الله، ومافيه من الأخذ بنصيب من الحياة الدنيا إنما هو لأجل ألا يكون المسلم عالة على غيره، وخير من الأخذ بالثأر العفو والصفح، ثم هو بعد ذلك يذكر بأن المؤمنين، هم الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً إلى آخر مافى القرآن من أيات ترشد إلى أن الحياة فى هذا العالم هى حقا الحياة «الدنيا» وأن الآخرة خير وأبقى.

أما أن الصوفى رجل آخرة فقط فهذا أيضاً فيه كثير من الوهم أو على الأقل عدم التحديد، فهذا الصوفى يتزوج ويدعو هو الآخر بأن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وأن العيش من كسب حلال طيب خير من أن يتكفف الإنسان الناس أعطوه أو منعوه ولكنه مع ذلك يتمذهب بمذهب القرآن، «والآخرة خيرة لك من الأولى». مادام الأمر كذلك فإننا نقول – ولسنا فى ذلك أيضا بمحددين – إن القرآن يدعو الى التصوف ويحث عليه وأنه كان السبب فى بعث التصوف الإسلامى.

يقول الجنيد - سيد هذه الطائفة وإمامهم على حد تعبير القشيرى -: الطرق كلها مسدودة على الخلق الأعلى من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقال: من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لايقتدى به في هذا الأمر: لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال: مذهبنا هذا مقيدا بأصول الكتاب والسنة.

معارك الغزالى مع الفلاسفة

ولكن قبل بيان نقد الغزالى لمذهب الفلاسفة عامة، وابن سينا على وجه الخصوص يجدر بنا الإشارة إلى رأى الغزالى. ذلك الرأى الذى سنتبين فيه متابعة من جانب الغزالى للمتكلمين. ومعنى هذا أن الغزالى إذا كان ينقد رأى الفلاسفة. فإن مبعث هذا النقد تأثره بالأتجاه الكلامى الذى يستند بدوره فى كثير من جذوره إلى التراث الدينى الإسلامى. بحيث إن المقارن بين رأى المتكلمين من جهة ورأى الغزالى من جهة أخرى، يجد مشابهة ومطابقة إلى درجة كبيرة.

فإذا رجعنا إلى كتب الغزالى التى تصطبغ بالصبغة الكلامية « كاالأقتصاد فى الاعتقاد »، و«قواعد والعقائد». وجدناه بعد تدليله على وجود الله وإثبات وحدانيته، ينتقل إلى دراسة الصفات الإلهية كالعلم والحياة والإدراك والقدزة والسمع والبصر. وهو - كما يفعل كثير من المتكلمين - يبدأ بدراسة صفة القدرة بحيث يرتب عليها إلى حد كبير القول بالصفات الإلهية الأخرى.

فالغزالى يذهب إلى أن الله تعالى عالم بجميع المعلومات الموجودات والمعدومات، ومحيط بكل المخلوقات، ولايغزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فيها السماء. وهو يقسم الموجودات إلى قديم وحادث، ويقول إن القديم، وذاته وصفاته «الله». والحادث الموحودت التى أوجدها الله.

كما يرى أن الله إذا كان يعلم غيره، فهو بالتالى أعلم بذاته وصفاته. وعلى هذا

يكون اللله بذاته وصفاته وعلى. وذلك إذا ثبت أنه عالم بغيره فما الدليل على أن الله عالم بغيره؟

فما الدليل إذن على أن الله عالم بغيره؟

يدلل الغزالى على ذلك بالقول بأن معنى الغير هو عبارة عن صنعه المتقن وفعله المحكم المرتب. وهذا إن دل على شئ، فإنما يدل على قدرته. «فإن من رأى خطوطاً منظومة تصدر على الاتساق من كاتب. ثم استراب فى كونه عالماً بصنعه الكتابة. كان سفيها فى استرابته. فإذن قد ثبت أنه عالم بذاته وبغيره».

لهذا بالإضافة إلى الآيات القرآنية التى تدلنا على أن الله عالم بمخلوقاته. فالله تعالى يقول: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير».

وإذا كان الغزالى حين يدلل على صفة العلم، يفرق بين القديم والحادث، بين الله وسفاته وبين موجوداته. فإنه يلجأ إلى هذه التفرقة بين الله وبين الموجودات حين يتساءل عن معلومات الله وهل لها نهاية أم ليست متناهية.

فهو يفرق بين معلومات الإنسان المتناهية ومعلومات الله التى ليس لها نهاية، ويرى أن الموجودات فى الحال وإن كانت متناهية، فالممكنات المستقبلة ليست متناهية.

ويعلم الله هذه الممكنات وهل سيوجدها أم سوف لا يوجدها، وإذن يعلم الله ما لانهاية له. وهذا خلاف العلم الإنسانى الذى له حدود معينة.

ويضرب الغزالى مثالا على ذلك قائلا: إن ضعف الأثنين أربعة وضعف الأربعة ثمانية وضعف الثمانية شتة عشر وهكذا نضعف الأثنين وضعف الضعف ولا يتناهى. والإنسان لا يعلم من مراتبها إلا ما يقدره بذهنه، وسينقطع عمره ويبقى من التضعيفات مالا ينتاهى. فإذاً معرفة أضعاف أضعاف الإثنين وهو عدد واحد. يخرج عن الحصر، وكذلك كل عدد، فكيف غير ذلك من النسب والتقديرات.

هذا جانب من الجوانب الخاصة برأى الغزالى فى موضوع العلم الإلهى. وقد عرفنا منه كيف أثبت هذه الصفة لله، كما أثبتها المتكلمون، وكيف استند إلى التراث الدينى

والتراث الكلامى أيضاً.

ولكن أهم ماتركه الغزالى لنا فى هذا المجال، يتمثل فى ذلك النقد الذى وجهه إلى الفلاسفة. سواء منهم من قال بعلمه لذاته فقط، أو من قال منهم بأنه يعلم الأشياء علماً كلياً فحسب.

فإذا رجعنا إلى تهافت الفلاسفة وجدناه يتعرض لنقد آراء الفلاسفة فى موضوع العلم الإلهى. فهو فى المسألة السادسة من تهافته يعرض رأيهم بعد عرض رأى المعتزلة فى الذات والصفات. ويفرق بين رأى ابن سينا الذى يذهب فيه إلى أن الله يعلم الأشياء كلها بنوع كلى لايدخل تحت الزمان، ولا يعلم الجزئيات التى يوجب تجدد الاحاطة بها تغيراً فى ذات العالم وبين القول بأنه لايعلم إلا نفسه احترازاً عن لزوم الكثرة.

ثم يخصص الغزالى المسألة الثالثة عشرة من تهافته لهدم آراء الفلاسفة. وهذا واضح من عنوان هذه المسألة: «فى أبطال قولهم: إن الله - تعالى عن قولهم - لايعلم الجزئيات المنقسمة بانقسام الزمان: إلى الكائن وما كان وماسيكون».

ولنعرض الآن لرأى الغزالى مبينين الأسس التى يستند إليها والمآخذ التى يأخذها على الفلاسفة.

يرى الغزالى أن الفريق الأول من الفلاسفة يؤدى مذهبهم إلى القول بأن معلولات الله أفضل منه؛ إذ الملك والإنسان وكل واحد من العقلاء يعرف نفسه ومبدأه ويعرف غيره. والأول لايعرف إلا نفسه. فهو ناقص بالإضافة إلى آحاد الناس فضلا عن الملائكة، بل البهيمة مع شعورها بنفسها تعرف أموراً أخرى سواها. ولاشك فى أن العلم شرف وأن عدمه نقصان.

يقول الغزالى ناقداً الفلاسفة: فأين قولهم: إنه عاشق ومعشوق لأن له البهاء الأكمل والجمال الأتم؟ وأى جمال لوجود بسيط لاماهية له ولا خبر له بما يجرى فى العالم ولا بما يلزم ذاته ويصدر عنه؟!! وليتعجب العاقل من طائفة يتعمقون فى المعقولات بزعمهم ثم ينتهى آخر نظرهم إلى أن رب الأرباب ومسبب الأسباب لا علم له وأصلا بما يجرى فى العالم. وأى فرق بينه وبين الميت إلا فى علمه بنفسه؟ وأى كمال فى علمه بنفسه مع جهله بغيره.

هذا بالإضافة إلى أنهم - أى الفلاسفة - فيما يرى الغزالى. لم يتخلصوا من الكثيرة. فإنا نقول: علمه بذاته أو غير ذاته فإن قالوا: إنه غير ذاته فقد جاءت الكثرة. وإن قالوا إنه عين ذاته. فما الفصل بينهم وبين القائل بأن علم الإنسان بذاته عين ذاته. وهذه حماق، إذ لا يعقل وجود ذاته فى حالة هو فيها غافل عن ذاته. ثم تزول غفلته ويتنبه لذاته، فيكون شعوره بذاته غير ذاته لا محالة هذا عن الفريق الأول، أما الفريق الثانى وهو الذى يعبر عنه مذهب ابن سينا. فيفيض الغزالى فى نقده. وهو يبدأ بعرض أهم معالم رأى هذا الفريق، ويتخذ مثال الكسوف لشرح رأيهم. فيقول إن الشمس مثلا تنكسف بعد أن لم تكن منكسفة ثم تنجلى فنحصل لها ثلاثة أحوال. أى الكسوف بعد أن ثم انتظار الوجود «المستقبل». حال العدم وكونه كان من قبل «الماضى»، حال هوفيها «الحاضر».

وهذه العلوم الثلاثة - فيما يقول الفلاسفة - متعددة ومختلفة، وإذا تعاقبت على المحل، فإن هذا يوجب تغير الذات العالمة، فالعلم يتبع المعلوم، فإذا تغير المعلوم تغير العلم، وإذا تغير العلم فقد تغير العالم لا محالة، والتغير على الله محال.

ومن هنا ذهب ابن سينا - كما سبق أن رأينا حين عرض مذهبه - إلى أن الله يعلم الكسوف وجميع صفاته وعوارضه، ولكن بعلم متصف به فى الأزل والأبد ولا يختلف. مثل أن يعلم مثلاً أن الشمس موجودة وأن القمر موجود، فإنهما حصلا منه بوساطة الملائكة التى تعد عقوّلا مجردة. ويعلم أيضاً أنها تتحرك حركات دورية وأنهما يجتمعان فى بعض الأحوال فتنكسف الشمس أى يحول جرم القمر بينها وبين المشاهدين فتستتر الشمس.. إلخ وهكذا رلى جميع أحوال الكسوف وعوارضه، بحيث لايعرب عن علمه، ولكن علمه شئ بهذا الكسوف وحين حدوث الكسوف وبعد انقاء الكسوف، على وتيرة وحدة لايختلف ولا يوجب تغيراً فى ذاته.

وهكذا يعتقد الفلاسفة بأن الكل معلوم له، علماً واحداً متناسباً لايؤثر فيه الزمان، بحيث إن ما يكون الزمان ضرورياً فى معرفته، فإنه لايتصور أن يعلمه، لأن ذلك يوجب التغير.

وما يقال عن الزمان، يمكن أن يقال عن المادة وعن المكان. فأن الأشياء التى تعرض لزيد وعمرو وغيرهما من الأفراد لايعلمها الله. وإنما يعلم الإنسان المطلق بعلم كلى، ويعلم عوارض وخواص هذا الإنسان المطلق لا عوارض وخواص الفرد، إذ أن هذه الخواص والعوارض الخاصة بالفرد، إنما تختلف من فرد إلى فرد، نتيجة للحس لا للعقل. وإذا كان الله عندهم عقلا خالصاً، فإنهم بالتالى نفوا عنه معرفة عوارض زيد وخالد وغيرهما.

ولكن ما الخطأ فى هذا الرأى من جانب فلاسفة أمثال ابن سينا ؟

ينبهنا الغزالى إلى أن هذا الرأى يترتب عليه نتائج خطيرة. فهو يقول: «هذه قاعدة اعتقدوها واستأصلوا بها الشرائع بالكلية، إذ مضمونها أن زيداً مثلا لو أطاع الله تعالى أو عصاه، لم يكن الله عز وجل عالماً بما يتجدد من أحواله لأنه لايعرف زيداً بعينه، فإنه شخص، وأفعاله حادثة بعد أن لم تكن، وإنما يعرف كفر الإنسان وإسلامه مطلقاً، كلياً. لا مخصوصاً بالأشخاص».

ويتابع الغزالى نقده للفلاسفة فيقول: فيم تنكرون على من يقول: إن الله تعالى له علم واحد بوجود الكسوف مقتلا فى وقت معين. وذلك العلم قبل وجوده علم بأنه سيكون، وهو بعينه عند الوجود علم بأنه كائن، وهو بعينه بعد الانجلاء علم بالانقضاء، وأن هذه الإختلافات ترجع إلى إضافات لاتوجب تبدلا فى ذات العلم، فلا توجد تغيراً فى ذات العالم. فإن ذلك ينزل منزلة الإضافة المحضة، إذ أن الشخص الواحد يكون عن يمينك ثم يرجع إلى قدامك ثم إلى شمالك، فتتعاقب عليك الإضافات، المتغير ذلك الشخص المتنقل دونك.

وإذا قالوا - أى الفلاسفة - إن من ضرورة إثبات العلم بالكون الآن، والانقضاء بعده، تغير، فليس ذلك يقول صحيح. إذ من أين عرفوا ذلك؟ فلو خلق الله لنا علماً بقدوم زيد غداً عند طلوع الشمس، وأدام هذا العلم، ولم يخلق لنا علماً آخر. ولاغفلة فى هذا العلم، لكنا عند طلوع الشمس عالمين بمجرد العلم السابق، بقدومه الآن، وبعده بأنه قد قدم من قبل، وكان ذلك العلم الواحد الباقى كافياً فى الإحاطة بهذه الأحوال الثلاثة.

وإذا كنا قد قلنا بأن الغزالى يوجه نقده لفريقين من الفلاسفة. فريق قال يعلمه لذاته فقط، وفريق قال بأنه يعرف الكليات دون الجزئيات أو يعرف الجزئيات على نحو كلى، فإن هَذا يتضح من أقوال العزالى التى ذهب فيها إلى أن الفريق الثانى لايخرج رأيه فى بعض تفصيلاته عن رأى الفريق الأول. فهو يذهب إلى أن الفلاسفة الذين يتصورون علم الله على نحو كلى، إذا قالوا إن الإضافة إلى المعلوم المعين داخلة فى حقيقته، ومهما اختلفت الإضافة اختلف الشئ الذى تعد الإضافة ذاتية له، ومهما حصل الاختلاف والتعاقب فقد حصل التغير، فإنا نقول إنه يجب عليكم سلوك مسلك إخوانكم الفلاسفة حيث قالوا: إنه لا يعلم إلا نفسه، وأن علمه بذاته عين ذاته.

وهكذا يأخذ الغزالى فى مناقشة كل فريق من الفريقين مبيناً لنا أن آراء الفريق الثانى من الفلاسفة لاتخلو من الأخطاء شأنها شأن رأى الفريق الأول. وهو ينتهى بعد هذا كله إلى القول بأنه من الواجب تكفير الفلاسفة، سوء من قال بأن الله تعالى لايعلم إلا نفسه. أو من قال بأنه تعالى لا يعلم إلا الكليات دون أن يحيط بالأمور الجزئية المتعلقة بالأشخاص، لأن هذا فيما يرى تكذيب قاطع للرسول.

وكتاب بداية الهداية من الكتب الهامة التى تبين منهج الغزالى وفلسفته فى التصوف، وقد قمت بالأعتماد النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية والنسخة المطبوعة إلى جانب مقدمة مولانا فضيلة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور عاطف العراقى وهما خير من أمددنا فى هذه الموضوع.

والله ولى التوفيق

القاهرة فى ١٤١٣هـ/١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة حجة الإسلام. وبركة الأنام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى قدس الله روحه، ونور ضريحه آمين. الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه، محمد وعلى آله وصحبه من بعده.

أما بعد فاعلم أيها الحريص المقبل على اقتباس العلم المظهر من نفسه صدق الرغبة وفرط التعطش إليه، أنك إن كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الأقران واستمالة وجوه الناس إليك وجمع حطام الدنيا، فأنت ساع فى هدم دينك، وهلك نفسك، وبيع آخرتك بدنياك، فصفقتك خاسرة، وتجارتك بائرة، ومعلمك معين لك على عصيانك، وشريك لك فى خسرانك. وهو كبائع سيف من قاطع طريق كما قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ أعانَ على معصيةٍ ولو بشطر كلمة كان شريكا له فيها»[1] وإن كانت نيتك وقصدك بينك وبين الله تعالى من طلب العلم الهداية دون مجرد الرواية فأبشر فأن الملائكة تبسط لك أجنحتها إذا مشيت وحيتان البحر تستغفر لكَ إذا سعيت. ولكن ينبغى لك أن تعلم قبل كل شئ أن الهداية التى هى ثمرة العلم لها بداية

(١) ورد فى صحيح مسلم والبخارى وسنن ابن ماجه.

ونهاية وظاهر وباطن، ولا وصول إلى نهاياتها إلا بعد احكام بدايتها، ولا عثور على باطنها إلا بعد الوقوف على ظاهرها. وها أنا مشير عليك ببداية الهداية لتجرب بها نفسك وتمتحن بها قلبك، فأن صادفت قلبك إليها مائلا ونفسك بها مطاوعة، ولها قابلة فدونك التطلع إلى النهايات، والتغلغل فى بحار العلوم، وأن صادفت قلبك عند مواجهتك أياه بها مسوفا وبالعمل بمقضتاها مماطلا، فاعلم أن نفسك اللعين ليدليك بحبل غرور، فيستدرجك بمكيدته إلى غمرة الهلاك، وقصده أن يروج عليك الشر فى معرض الخير حتى يلحقك بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وعند ذلك يتلو عليك الشيطان فضل العلم ودرجة العلماء، وماورد فيه من الآثار والأخبار ويلهيك عن قوله صلى الله عليه وسلم «مَنْ أرْدَادَ علماً وَلَمْ يَزْدَدْ هُدًى لَمْ يَزْدَدْ مِنَ اللهِ إلاَّ بُعْداً»(١) وعن قوله صلى الله عليه وسلم «أشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ القِيَامَةِ عالَمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بعِلْمِه»(٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقول «اَللّهُمَّ إنِّى أعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَيَنْفعُ وَقَلْبٍ لاَيخْشَعُ وَعَمِلٍ لاَ يُرْفَعُ وَدُعَاءٍ لاَ يُسْمعُ»(٣) وعن قوله صلى الله عليه وسلم «مررْتُ لَيْلَةَ أسْرِي بى بأقْوَامٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ فَقُلْتُ مَنْ أنْتمْ قالُوا كُنَّا نَأمُرُ بِالْخَيْرِ وَلاَ نَأتيه وَنَنْهىَ عَنِ المائلة إلى طلب العلم هى النفس الأمارة بالسوء وقد انهضت مطيعة للشيطان الشرُّ وَنَأتيه» فاياك يامسكين أن تذعن لتزويره فيدليك بحبل غروره. فويل للجاهل لم يتعلم مرة واحدة وويل للعالم حيث لم يعمل بما علم ألف مرة. واعلم أن الناس فى طلب العلم على ثلاثة أحوال، رجل طلب العلم ليتخذه زاده إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله والدار الآخرة فهذا من الفائزين. ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال به العز والجاه والمال وهو عالم بذلك، مستشعر فى قلبه ركاكة حاله وخسة مقصده فهذا من المخاطرين. فأن عاجله أجله قبل التوبة خيف عليه من سوء الخاتمة وبقى أمره فى خطر

(١) مفتاح كنوز السنة ٣٥٠.

(٢) مفتاح كنوز السنة ٣٥٠.

(٣) مفتاح كنوز السنة ٣٥١.

المشيئة وإن وفق للتوبة قبل حلول الأجل. وأضاف إلى العلم العمل. وتدارك مافرط فيه من الخلل. التحق بالفائزين. فأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ورجل ثالث استحوذ عليه الشيطان فأتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الأتباع، يدخل بعلمه كل مدخل رجاء أن يقضى من الدنيا وطره وهو مع ذلك يضمر فى نفسه أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء وترسمه برسومهم فى الزى والنطق مع تكالبه فهذا من الهالكين ومن الحمقى المغرورين إذ الرجاء منقطع عن توبته على الدنيا ظاهراً وباطناً لظنه أنه من المحسنين وهو غافل عن قوله تعالى «يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُو الِمَ تَقوُلُونَ مَالاَ تَفْعَلُونَ»(١) وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «أَنَا مَنْ غَيْرِ الدَّجَّالِ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ مِنْ الدَّجَّالِ فَقِيلَ وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ عُلَماءُ السُّوءِ»(٢) وهذا لأن الدجال غايته الأضلال ومثل هذا العالم وان صرف الناس عن الدنيا بلسانه ومقاله فهو داع لهم بأعماله وأحوال ولسان الحال أفصح من لسان المقال وطباع الناس إلى المشاهدة فى الأعمال أميل منها إلى المتابعة فى الأقوال، فما أفسده هذا المغرور بأعماله أكثر مما أصلحه بأقواله، إذ لا يستجرئ الجاهل على الرغبة فى الدنيا إلا باستجراء العلماء فقد صار علمه سببا لجراءة عباد الله على معاصيه ونفسه الجاهلة مدلة مع ذلك تمنيه وترجيه وتدعوه إلى أن يمن على الله بعلمه وتخيل إليه نفسه أنه خير من كثير من عباد الله، فكن أيها الطالب من الفريق الأول وأحذر أن تكون من الفريق الثانى فكم من مسوف عاجله الأجل قبل التوبة فخسر وأياك ثم أياك أن تكون من الفريق الثالث فتهلك هلاكا لايرجى معه فلاحك ولا ينتظر صلاحك. فأن قلت فما بداية الهداية لأجرب بها نفسى فاعلم أن بدايتها ظاهرة التقوى ونهايتها باطنة التقوى فلا عاقبة إلا بالتقوى ولا هداية إلا للمتقين. والتقوى عبارة عن أمتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه فهما قسمان وها أنا أشير عليك بجملة مختصرة من ظاهر علم التقوى فى القسمين جميعا.

---

(١) ٢ م الصف ٦١.

(٢) مفتاح كنوز السنة ١٨٧- ١٨٨.

القسم الأول الطاعات

اعلم أن أوامر الله تعالى فرائض، ونوافل فالفرض رأس المال، وهو أصل التجارة وبه تحصل التجارة، والنقل وهو الربح وبه الفوز فى الدرجات. قال صلى الله عليه وسلم[1] «يَقُولُ ٱللَّهُ تعالَى مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ ٱلْمُتَقَرِّبُونَ بِمِثْلِ أداء مَا ٱفْتَرَضْتُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ به عَلَيهم وَلاَ يَزَالُ العَبْدُ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا»[2] ولن تصل أيها الطالب إلى القيام بأوامر الله تعالى إلا بمراقبة قلبك وجوارحك فى لحظاتك وأنفاسك من حين تصبح إلى حين تمسى، فاعلم أن الله تعالى مطلع على ضميرك ومشرف على ظاهرك وباطنك ومحيط بجميع لحظاتك وخطراتك وخطواتك وسائر سكناتك وحركاتك وأنك فى مخالطتك وخلواتك متردد بين يديه، فلا يسكن فى الملك والملكوت ساكن ولايتحرك متحرك إلا وجبار السموات والأرض مطلع عليه يعلم خائنة الأعين، وما تُخْفى الصدور ويعلم السر وأخفى فتأدب أيها المسكين ظاهراً وباطنا بين يدى الله تعالى تأدب العبد الذليل المذنب فى حضرة الملك الجبار والقهار واجتهد أن لايراك مولاك حيث نهاك ولايفقدك حيث أمرك ولن تقدر على ذلك إلا بأن توزع أوقاتك وترتب أورادك من صباحك إلى مسائك فاصغ إلى مايلقى إليك من أوامر الله تعالى عليك من حين تستيقظ من منامك إلى وقت رجوعك إلى مضجعك.

---

(١) ورد فى السيرة لابن هشام جـ١ ١٥٠.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

فصل فى آداب الاستيقاظ من النوم

فاذا استيقظت من النوم فاجتهد أن تستيقظ قبل طلوع الفجر، وليكن أول ما يجرى على قلبك ولسانك ذكر الله تعالى، فقل عند ذلك الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله رب العالمين أصبحنا على فطرة الإسلام وعلى كلمة الإخلاص وعلى دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين. اللهم أنا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم إلى كل خير وأعوذ بك أن أجترح فيه سوءا أو أجره إلى مسلم. اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور، نسألك خير هذا اليوم وخير مافيه ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما فيه فاذا قصد من لباسك. لبست ثيابك فاتو به امتثال أوامر الله تعالى فى ستر عورتك واحذر أن يكون هذا اليوم وشر ما فيه فإذا قصدك من لباسك مرءاة الخلق فتخسر.

باب آداب دخول الخلاء

فأذا قصدت بيت الماء لقضاء الحاجة فتقدم فى الدخول رجلك اليسرى وفى الخروج رجلك اليمنى، ولا تستصحب شيئا عليه اسم الله تعالى ورسوله ولاتدخل حاسر الرأس ولا حافى القدمين، وقل عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم، وعند الخروج غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى، وينبغى أن تعد النبل قبل قضاء الحاجة وأن لاتستنجى بالماء فى موضع قضاء الحاجة، وأن تستبرئ من البول بالتنحنح والنتر ثلاث وبامرار اليد اليسرى على أسفل القضيب. وإن كنت فى الصحراء فأبعد عن عيون الناظرين أو استبرئ بشئ إن وجدته، ولاتكشف عورتك قبل الإنتهاء إلى موضع الجلوس، ولا تستقبل القبلة ولا الشمس ولا القمر، ولا تستدبرهما ولاتبل فى متحدث الناس ولا تبل فى الماء الراكد تحت الشجرة المثمرة ولا فى الحجر، واحذر الأرض الصلبة واحذر الريح احترازا من الرشاش، لقوله صلى الله عليه وسلم «انَّ عامَّةَ عذابِ القبرِ منهُ»(١) واتكئ فى جلوسك على الرجل اليسرى ولاتبل قائما إلا عن ضرورة واجمع فى الاستنجاء بين استعمال الحجر والماء، فأذا أردت الاقتصار على أحدهما فالماء أفضل. وإن اقتصرت على الحجر فعليك أن تستعمل ثلاثة أحجار طاهرة منشفة للعين، تمسح بها محل النجو بحيث لاتنتقل النجاسة عن موضعها، وكذلك تمسح القضيب فى ثلاثة مواضع من حجر، فأن لم يحصل الانقاء بثلاثة فتمم خمسة أو سبعة إلى أن ينقى بالايتار، فالايتار مستحب والانقاء واجب، ولا تستنج إلا باليد اليسرى وقل عند الفراغ من الاستنجاء: اللهم طهر قلبى من النفاق وحصن فرجى من الفواحش وادلك يدك بعد تمام الاستنجاء بالارض أو بحائط ثم اغسلها فرغت من الاستنجاء فلا تترك السواك فانه مطهرة.

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجة والترمذى.

فاذا للفم ومرضاه للرب ومسخطة للشيطان وصلاة بسواك أفضل من سبعين صلاة بلا سواك. روى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لامَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ فِي كُلِّ صَلاَةٍ»(١) وعنه صلى الله عليه وسلم «أُمِرْتُ بِالسِّوَاكِ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ يُكْتَبَ عَلَيَّ»(٢) ثم اجلس للوضوء مستقبل القبلة على موضع مرتفع كى لا يصيبك الرشاش وقل بسم الله الرحمن الرحيم «رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ»(٣) ثم اغسل يديك ثلاثا قبل أن تدخلهما الأناء، وقل اللهم انى أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم انو رفع الحدث أو استباحة الصلاة، ولا ينبغى أن تعزب نيتك قبل غسل الوجه، فلا يصح وضوءك ثم خذ غرفة لفيك وتمضمض بها ثلاثا، وبالغ فى رد الماء إلى الغلصمةإلا أن تكون صائما فترفق، وقل اللهم أعنى على تلاوة كتابك وكثرة الذكر وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا والآخرة. ثم خذ غرفة لأنفك واستنشق بها ثلاثا وابستنثر ما فى الأنف من رطوبة، وقل فى الأستنشاق اللهم أرحنى رائحة الجنة وأنت عنى راض، وفى الاستنثار اللهم إنى أعوذ بك من روائح النار وسوء الدار ثم خذ غرفة لوجهك فاغسل بها مبتدئا تسطيح الجبهة إلى منتهى ما يقبل من الذقن فى الطول ومن الأذن فى العرض وأوصل الماء إلى موضع التحذيف وهو مايعتاد النساء تنحية الشعر عنه، وهو مابين رأس الأذن إلى زاوية الجبين أعنى مايقع منه فى جبهة الوجه، وأوصل الماء إلى منابت الشعور الأربعة الحاجبين والشاربين والأهداب والعذارين، وهما مايوازى الأذنين من مبتدا اللحية ويجب ايصال الماء إلى منابت الشعر من اللحية الخفيفة دون الكثيفة وقل عند غسل الوجه اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه أولياءك ولا تسود وجهى بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ولا تترك تخليل اللحية

(١) ورد فى جميع الأسانيد.

(٢) انظر: مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٣) ٩٧ ك المؤمنون ٢٣.

الكثيفة ثم اغسل يدك اليمنى ثم اليسرى مع المرفقين إلى أنصاف العضدين، فأن الحلية فى الجنة تبلغ مواضع الوضوء وقل عند غسل اليمنى: اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حسابا يسيراً وعند غسل الشمال اللهم إنى أعوذ بك أن تعطينى كتابى بشمالى أو من وراء ظهرى. ثم استوعب رأسك بالمسح بأن تبل يدك وتلصق رؤس أصابع يدك اليمنى باليسرى وتضعهما على مقدمة الرأس وتمرهما إلى القفا ثم تردهما إلى المقدمة فهذه مرة تفعل ذلك ثلاث مرات وكذلك فى سائر الأعضاء، وقل اللهم غشنى برحمتك وأنزل على من بركاتك وأظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك، اللهم حرم شعرى وبشرى على النار ثم تمسح أذنيك ظاهرهما وباطنهما بماء جديد وأدخل مسبحتيك فى صماخى أذنيك وامسح ظاهر اذنيك ببطن ابهاميك، وقل اللهم أجعلنى من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعنى منادى الجنة فى الجنة مع الأبرار، ثم امسح رقبتك وقل اللهم فك رقبتى من النار وأعوذ بك من السلاسل والأغلال، ثم اغسل رجلك اليمنى ثم اليسرى مع الكعبين وتخلل بخنصر اليسرى أصابع رجليك مبتدئا بخنصر اليمنى حتى تختم بخنصر اليسرى وتخلل الأصابع من أسفل، وقل اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم مع أقدام عبادك الصالحين. وكذلك تقول عند غسل اليسرى اللهم إنى أعوذ بك أن تزل قدمى على الصراط فى النار يوم تزل أقدام المنافقين والمشركين. وارفع الماء إلى أنصاف الساقين وراع التكرار ثلاثا فى جميع أفعالك فأذا فرغت من الوضوء فارفع بصرك إلى السماء، وقل أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى استغفرك وأتوب إليك، فاغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم، اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من عبادك الصالحين، واجعلنى صبورا شكورا، واجعلنى أذكرك ذكرا كثيرا، وأسبحك بكرة وأصيلا، فمن قال هذه الدعوات فى وضوئه خرجت خطاياه من جميع أعضائه وختم على وضوئه بخاتم، ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك الوضوء إلى يوم القيامة، واجتنب فى وضوئك سبعا لاتنفض يديك فترش الماء ولا تلطم رأسك ووجهك بالماء لطما ولاتتكلم فى أثناء الوضوء ولاتزد فى الغسل

على ثلاث مرات ولاتكثر صب الماء من غير حاجة بمجرد الوسواس فللموسوسين شيطان يلعب بهم، يقال له الولهان. ولا تتوضأ بالماء المشمس ولا فى الأوانى الصفرية فهذه السبعة مكروهة فى الوضوء، وفى الخبر أن من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله، ومن لم يذكر الله لم يطهر منه إلا ما أصابه الماء.

آداب الغسل

فاذا أصابتك جنابة من احتلام أو وقاع، فاحمل الاناء إلى المغتسل واغسل يديك أولا ثلاثا، وأزل ماعلى بدنك من قذر وتوضأ كما سبق وضوءك للصلاة مع جميع الدعوات، وأخر غسل رجليك كى لايضيع الماء فاذا فرغت من الوضوء فصب الماء على رأسك ثلاثا، وأنت ناو رفع الحدث من الجنابة ثم على شقك الأيمن ثلاثا، ثم على الأيسر ثلاثا، وادلك ما أقبل من بدنك وما أدبر وخلل شعر رأسك ولحيتك وأوصل الماء إلى معاطف البدن ومنابت الشعر ماخف منه، وما كثف وأحذر أن تمس ذكرك بعد الوضوء، فإن أصابته يدك فأعد الوضوء. والفريضة من جملة ذلك كله النية وازالة النجاسة واستيعاب البدن بالغسل، ومن الوضوء غسل الوجه واليدين مع المرفقين، ومسح بعض الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين مرة مرة، مع النية والترتيب وما عداها سنن مؤكدة فضلها كثير وثوابها جزيل والمتهاون بها خاسر، بل هو بأصل فرائضه مخاطر فان النوافل جوابر للفرائض.

آداب التيمم

فأن عجزت عن إستعمال الماء لفقده بعد الطلب أو العذر الوصول إليه مع سبع أو حبس أو كان الماء الحاجة تحتاج إليه لعطشك أو عطش من مرض أو لمانع من رفيقك أو كان ملكا لغيرك، ولم يبع إلا بأكثر من ثمن المثل، أو كانت بك جراحة أو مرض تخاف منه على نفسك، فاصبر حتى يدخل وقت الفريضة ثم اقصد صعيداً طيبا عليه تراب خالص طاهر لين، فاضرب عليه بكفيك ضاما بين أصابعك وانو استباحة فرض الصلاة

وامسح بهما وجهك مرة واحدة، ولاتتكلف إيصال الغبار إلى منابت الشعر خف أو كثف ثم انزع خاتمك، واضرب ضربة ثانية مفرقا بين أصابعك وامسح بهما يديك مع مرفقيك فإن لم تستوعبهما فاضرب ضربة أخرى إلى أن تستوعبهما، ثم امسح إحدى كفيك بالأخرى وامسح مابين أصابعك بالتخليل، وصل به فرضا واحداً وما شئت من النوافل فإن أردت فرضا ثانيا فاستأنف له تيمما آخر.

آداب الخروج إلى المسجد

فاذا فرغت من طهارتك فصل فى بيتك ركعتى الفجر أن كان الفجر قد طلع كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم توجه إلى المسجد ولا تدع الصلاة فى الجماعة لاسيما الصبح، فصلاة الجماعة تفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة فأن كنت تتساهل فى مثل هذا الربح فأى فائدة لك فى طلب العلم، وإنما ثمرة العلم العمل به فأذا مشيت إلى المسجد فامش على الهينة والسكينة، ولا تعجل وقل فى طريقك اللهم بحق السائلين عليك وبحق الراغبين إليك وبحق ممشاى هذا إليك فأنى لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فأسألك أن تنقذنى من النار وأن تغفر لى ذنوبى فأنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

آداب دخول المسجد

فاذا أردت الدخول إلى المسجد فقدم رجلك اليمنى، وقل اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وعلى صحبه وسلم، اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب رحمتك. ومهما رأيت فى المسجد من يبيع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت فيه من ينشد عن ضالة فقل رد الله عليك ضالتك، كذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلى ركعتى التحية فإن لم تكن على طهارة أو لم ترد فعلها كفتك الباقيات الصالحات ثلاثا وقيل أربعا وقيل ثلاث للمحدث وواحدة للمتوضئ، فإن لم تكن صليت ركعتى الفجر فيجزئك أداوهما عن التحية فاذا فرغت من الركعتين فانو

الاعتكاف وادع بما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر، فقل اللهم أنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى وترد بها ألفتى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى، وتقضى لى بها حاجتى وتعصمنى بها من كل سوء، اللهم إنى أسألك إيمانا خالصا يباشر قلبى وأسالك يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته علىّ والرضا بما قسمته لى، اللهم إنى أسألك إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر وأسألك رحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك الصبر عند القضاء والفوز عند اللقاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء، اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف رأيى وقصر عملى وافتقرت إلى رحمتك فأسألك ياقاضى الأمور وياشافى الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن فتنة القبور، ومن دعوة الثبور. اللهم وماضعف عنه رأيى وقصر عنه عملى ولم تبلغه نبتى وأمنيتى من خير وعدنه أحداً من عبادك أو خير أنت معطيه أحداً من خلقك، فإنى أرغب إليك فيه وأسألك أياه يارب العالمين، اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك، سلما لأوليائك نحب بحبك الناس ونعادى بعدواتك من خالفك من خلقك، اللهم هذا الدعاء وعليك الإجابة وهذا الجهد وعليك التكلان، وانا لله وأنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، اللهم ذالحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود الركع السجود الموفين لك بالعهود إنك رحيم ودود، وأنت تفعل ما تريد سبحان من اتصف بالعز وقال به، سبحان من لبس المجد وتكرم به، سبحان من لاينبغى التسبيح إلا له، سبحان ذى الفضل والنعم، سبحان ذى القدرة والكرم، سبحان الذى أحصى كل شئ بعلمه، اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى ونوراً فى قبرى ونوراً فى سمعى ونوراً فى بصرى ونوراً فى شعرى ونوراً فى بشرى ونوراً فى لحمى ونوراً فى دمى ونوراً فى عظامى ونوراً من بين يدى ونوراً من خلفى ونوراً عن يمينى ونوراً عن شمالى ونوراً من فوقى ونوراً من تحتى، اللهم زدنى نوراً وأعطنى نورا أعظم نور واجعل لى نوراً برحمتك يا أرحم الراحمين. فأذا فرغت من الدعاء فلا تشتغل إلا بأداء

الفريضة أو بذكر أو تسبيح أو قراءة القرآن فأذا سمعت الأذان فى أثناء ذلك، فاقطع ما أنت فيه بجواب المؤذن فأذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر، فقل مثل ذلك وكذلك فى كل كلمة إلا فى الحيعلتين فقل فيهما لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإذا قال الصلاة خير من النوم فقل صدقت وبررت وأنا على ذلك من الشاهدين فأذا سمعت الاقامة فقل مثل مايقول إلا فى قوله قد قامت الصلاة فقل أقامها الله وأدامها مادامت السموات والأرض فأذا فرغت من جواب المؤذن، فقل اللهم إنى أسألك عند حضور صلاتك وأصوات دعاتك وأدبار ليلك واقبال نهارك أن تؤتى محمد الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته يا أرحم الراحمين، فأذا سمعت الأذان وأنت فى الصلاة فتمم الصلاة ثم تدارك الجواب بعد السلام على وجهه فأذا أحرم الإمام بالفرض فلا تشتغل إلا بالاقتداء به وصل الفرض كما سيتلى عليك فى كيفية الصلاة وآدابها، فأذا فرغت فقل اللهم صل على محمد وآل محمد وسلم، اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والأكرام سبحان ربى العلى الأعلى لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لايموت بيده الخير وهو على كل شئ قدير لا إله إلا الله أهل النعم ولافضل والثناء الحسن لا إله إلا لله ولا نعبد إلا أياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون. ثم ادع بعد ذلك بالجوامع الكوامل وهو ماعلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها فقل اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله، ماعلمتُ منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمتُ منه وما لم أعلم وأسألك الجنة ومايقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل ونية واعتقاد، وأسألك من خير ماسألك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم وما قضيت لى من أمر فاجعل عاقبته رشداً، ثم ادع بما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة رضى الله عنها فقل ياحى ياقيوم ياذا الجلال والإكرام لا إله إلا أنت برحمتك أستغيث ومن غذابك استجير لاتكلنى إلى نفسى طرفة عين، وأصلح لى شأنى كله بما أصلحت به الصالحين، ثم قل ماقاله عيسى على نبينا

وعليه الصلاة والسلام: اللهم إنى اصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك ما أرجو، وأصبح الأمر بيدك لا بيد غيرك، وأصبحت مرتهنا بعملى فلا فقير أفقر منى إليك، ولا غنى أغنى منك عنى، اللهم لا تشمت بى عدوى ولا تسؤ بى صديقى ولا تجعل مصيبتى فى دينى، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى، ولا تسلط على بذنبى من لا يرحمنى. ثم ادع بما بدالك من الدعوات المشهورات واحفظها مما أوردناه فى كتاب الدعوات من كتب إحياء علوم الدين و لتكن أوقاتك بعد الصلاة إلى طلوع الشمس موزعة على أربع وظائف، وظيفة فى الدعوات ووظيفة فى الأذكار والتسبيحات وتكررها فى مسبحة ووظيفة فى قرأة القرآن ووظيفة فى التفكر فتفكر فى ذنوبك وخطاياك وتقصيرك فى عبادة مولاك وتعرضك لعقابه الأليم وسخطه العظيم وترتب أوقاتك بتدبيرك أورادك فى جميع يومك لتتدارك به مافرطت من تقصيرك وتحترز من التعرض لسخط الله الأليم فى يومك، وتنوى الخير لجميع المسلمين نهارك إلا بطاعة الله تعالى وتفضل فى قلبك الطاعات التي تقدر عليها وتعزم أن لاتشغل فى جميع وتختار أفضلها وتتأمل تهيئة أسبابها ليشتغل بها ولا تدع عنك التفكر فى قرب الأجل وحلول الموت القاطع للأمل وخروج الأمر عن الأخبار وحصول الحصرة والندامة وطول الاغترار وليكن من تسبيحاتك وأذكارك عشر كلمات أحداهن لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملكوله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شئ قدير. الثانية لا إله إلا الله الملك الحق المبين. الثالثة لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار. الرابعة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. الخامسة سبوح قدوس رب الملائكة والروح. السادسة سبحان الله العظيم. السابعة أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة والمغفرة. الثامنة اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا راد لما قضيت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. التاسعة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وصحبه وسلم. العاشرة باسم الله الذى لايضر مع اسمه شئ فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم تكرر كل واحدة من هذه الكلمات اما مائة مرة أو سبعين مرة أو عشر مرات وهو أقله ليكون المجموع مائة ولازم هذه الأذكار ولا تتكلم قبل طلوع الشمس. ففى الخبر أن ذلك أفضل من اعتاق ثمان رقاب من ولد إسماعيل على نبينا

وعليه الصلاة والسلام أعنى الأشتغال بذلك إلى طلوع الشمس من غير أن يتخلله كلام.

آداب مابعد طلوع الشمس إلى الزوال

فاذا طلعت الشمس وارتفعت قدر رمح فصل ركعتين وذلك عند زوال وقت الكراهة للصلاة، فأنها مكروهة من بعد فريضة الصبح إلى الأرتفاع، فأذا أضحى النهار ومضى منه قريب من ربعه فصل صلاة الضحى أربعا أو ستا أو ثمانيا مثنى مثنى فقد نقلت هذه الأعداد كلها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصلاة خير كلها فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقلل. فليس بين الطلوع والزوال راتبة إلا هذه الصلوات فما فضل منها من أوقاتك فلك فيه أربع حالات «الحالة الأولى» وهى الأفضل أن تصرفه فى طلب العلم النافع دون الفضول الذى أكب الناس عليه وسموه علما، والعلم النافع مايزيد فى خوفك من الله تعالى ويزيد فى بصيرتك بعيوب نفسك ويزيد فى معرفتك بعبادة ربك ويقلل من رغبتك فى الدنيا ويزيد فى رغبتك فى الآخرة ويفتح بصيرتك بآفات أعمالك حتى تحترز منها ويطلعك على مكايد الشيطان وغروره وكيفية تلبيسه على علماء السوء حتى عرضهم لمقت الله تعالى وسخطه حيث أشتروا الدنيا بالدين وأتخذوا العلم ذريعة ووسيلة إلى أخذ أموال الأوقاف واليتامى والمساكين وصرفوا همتهم طول نهارهم إلى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب الخلق واضطرهم ذلك إلى والمراءاة والممارة والمناقشة فى الكلام والمباهاة، وهذا الفن من العلم النافع قد جمعناه فى كتاب إحياء علوم الدين فإن كنت من أهله فحصله واعمل به ثم علمه وادع إليه فمن علم ذلك ثم عمل به، ثم دعا إليه فذلك يدعى عظيما فى ملكوت السموات بشهادة عيسى عليه السلام، فاذا فرغت من ذلك وفرغت من إصلاح نفسك ظاهراً وباطناً وفضل شئ من أوقاتك فلا بأس أن تشتغل بعلم المذهب فى الفقه، لتعرف به الفروع النادرة فى العبادات وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات عند انكبابهم على الشهوات، فذلك أيضا عند الفراغ من هذه المهمات من جملة فروض الكفايات فأن دعتك نفسك إلى ترك ماذكرناه من الأوراد والأذكار اشتغالا بذلك فاعلم أن الشيطان اللعين قد دس فى قلبك

الداء الدفين وهو حب الجاه والمال فأياك أن تغتر به فتكون ضحكة للشيطان فيهلكك، ثم يسخر بك فأن جريب نفسك مدة فى الأوراد والعبادات فكانت لاتستثقلها كسلا عنها لكن ظهرت رغبتك فى تحصيل العلم النافع ولم ترد به وجه الله تعالى والدار الآخرة فذلك أفضل من نوافل العبادات، مهما صحت النية ولكن الشأن فى صحة النية فإن لم تصح النية فهى معدن غرور الجهال ومزلة أقدام الرجال «الحالة الثانية» أن لاتقدر على تحصيل العلم النافع لكن تشتغل بوظائف العبادات من الذكر والقرآن والتسبيحات والصلاة فذلك من درجة العابدين وسير الصالحين، وتكون أيضا بذلك من الفائزين «الحالة الثالثة» أن تشتغل بما يصل منه خير للمسلمين ويدخل به سرور على قلوب المؤمنين، أو تيسر به الأعمال الصالحة للصالحين كخدمة الفقهاء والصوفية وأهل الدين والتردد فى أشغالهم والسعى فى اطعام الفقراء والمساكين والتردد مثلا على المرضى بالعبادة وعلى الجنائز بالتشيع فكل ذلك أفضل من النوافل فأن هذه عبادات، وفيها رفق للمسلمين. «الحالة الرابعة» إن لم تقو على ذلك فاشتغل بحاجاتك اكتسابا على نفسك أو على عيالك وقد سلم المسلمون منك وأمنوا من لسانك ويدك وسلم لك دينك اذا لم ترتكب معصية فتنال به درجة أصحاب اليمين، أن لم تكن من أهل الترقى إلى مقامات السابقين فهذه أقل الدرجات فى مقامات الدين، وما بعد هذا فهو من مراتع الشياطين وذلك بأن تشتغل والعياذ بالله بما يهدم دينك أو تؤذى عبداً من عباد الله، فهذه رتبة الهالكين فأياك أن تكون فى هذه الطبقة وأعلم أن العبد فى حق دينه على ثلاث درجات اما سالم وهو المقتصر على أداء الفرائض وترك المعاصى، أو رابح وهو المتطوع بالقربات والنوافل، أو خاسر وهو المقصر عن اللوازم فان لم تقدر أن تكون رابحا فاجتهد أن تكون سالما وإياك ثم إياك أن تكون خاسراً، والعبد فى حق سائر العباد له ثلاث درجات «الأولى» أن ينزل فى حقهم منزلة الكرام البررة من الملائكة وهو أن يسعى فى أغراضهم رفقا بهم وادخال السرور على قلوبهم «الثانية» أن ينزل فى حقهم منزلة البهائم والجمادات فلا ينالهم خيره ولكن يكف عنهم شره «الثالث» أن ينزل في حقهم منزلة العقارب والحيات والسباع الضاريات لايرجى خيره ويتقى شره فأن لم تقدر أن تلتحق بافق الملائكة فاحذر أن تنزل عن درجة البهائم والجمادات إلى مراتب العقارب

والحيات ولاسباع الضاريات فأن رضيت لنفسك النزول من أعلى عليين فلا ترض لها بالهوى إلى أسفل السافلين فلعلك تنجو كفافا لالك ولا عليك فعليك فى بياض نهارك أن لا تشتغل إلا بما ينفعك فى معادك أو معاشك الذى لا تستغنى عنه وعن الاستعانة به على معادك أو معاشك، فإن عجزت عن القيام بحق دينك مع مخالطة الناس وكنت لاتسلم فالعزلة ففيها النجاة والسلامة فأن كنت الوساوس سفى العزلة تجاذبك إلى مالا يرضى الله تعالى ولم تقدر على قمعها بوظائف العبادات فعليك بالنوم فهو أحسن أحوالك وأحوالنا اذا عجزنا عن الغنيمة رضينا بالسلامة فى الهزيمة فما أحسن حال من سلامة دينه فى تعطيل حياته إذ النوم آخو الموت وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات.

آداب الاستعداد لسائر الصلوات

ينبغى أن تستعد قبل الزوال لصلاة الظهر فقدم القيلولة إن كان لك قيام فى الليل أو سهر فى الخير فأن فيها معونة على قيام الليل كما أن فى السحور معونة على صيام النهار والقيلولة من غير قيام بالليل كالسحور من غير صيام بالنهار، واجتهد أن تستيقظ قبل الزوال وتتوضأ وتحضر المسجد وتصلى تحية المسجد، وتنتظر المؤذن فتجيبه ثم تقوم فتصلى أربع ركعات عقيب الزوال، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطولهن ويقول «هذَا وَقْتٌ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ لِي فِيهِ عَمَلٌ صَالِحٌ»(١) وهذه الأربع قبل الظهر سنة مؤكدة ففى الخبر «أن من صلاهن فأحسنَ رُكوعَهنّ وسجُودَهن صلى معهَ سبعون ألفَ ملَك يَستغفرون له إلى الليل»(٢) ثم تصلى الفرض مع الإمام ثم تصلى بعد الفرض ركعتين فهما من الرواتب الثابتة، ولاتشتغل إلى العصر إلا بتعلم علم أو إعانة مسلم أو قراءة قرآن أو سعى فى معاش تستعين به على دينك.ثم تصلى أربع ركعات قبل العصر وهى سنة مؤكدة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رَحِم اللهُ أمْرَأً صَلَّى أَرْبَعًا قَبْلَ الْعَصْرِ» فاجتهد أن ينالك دعاؤه صلى الله عليه وسلم ولا تشتغل بعد العصر إلا بمثل ماسبق قبل العصر ولا ينبغى أن تكون أوقاتك مهملة فتشتغل فى كل وقت بما اتفق كيف اتفق بل ينبغى أن تحاسب نفسك وترتب أورادك وظائفك فى ليلك ونهارك وتعين لكل وقت شغلا لا تتعداه ولا تؤثر فيه سواه فبذلك تظهر بركة الأوقات. فأما اذا تركت نفسك سدى مهملا إهمال البهائم لا تدرى بماذا تشتغل فى كل وقت فينقضى أكثر أوقاتك ضائعا أو فاتك عمرك، وعمرك رأس مالك وعليه تجارتك وبه وصولك إلى نعيم دار الأبد فى جوار الله تعالى، فكل نفس من أنفاسك جوهرة لاقيمة لها اذ لابدل له فاذا فات فلا عود. فا تكن كالحمقى المغرورين الذين يفرحون كل يوم بزيادة أموالهم مع نقصان أعمارهم فأ خير فى مال يزيدو عمر ينقص ولا تفرح إلا بزيادة علم أو عمل صالح فانهما رفيقاا

---

(١) المعجم المفهرس للألفاظ الحديث ١/ ٢٠٥.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث ٢/ ٤٠٠.

يصحبانك فى القبر حيث يتخلف عنك أهلك ومالك وولدك وأصدقاؤك ثم أذا اصفرت الشمس فاجتهد أن تعود إلى المسجد قبل الغروب وتشتغل بالتسبيح والاستغفار، فأن فضل هذا الوقت كفضل ماقبل الطلوع قال الله تعالى «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا»(١) وأقرأ قبل غروب الشمس «الشَّمْسِ وَضُحَاهَا»(٢) «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى»(٣) والمعوذتين ولتغرب عليك الشمس وأنت فى الاستغفار، فاذا سمعت الأذان فأجب وقل بعده اللهم إنى أسألك عند اقبال ليلك وأدبار نهارك وحضور صلاتك وأصوات دعاتك أن تؤتى محمداً الوسيلة والفضيلة والشرف والدرجة الرافيعة، وابعثه المقام المحمود الذى وعدته أنك لاتخلف الميعاد والدعاء كما سبق. ثم صل الفرض بعد جواب المؤذن والإقامة وصل بعده ركعتين قبل أن تتكلم فهما راتبة المغرب وان صليت بعدهما أربعا فهى أيضا سنة، وان أمكنك أن تنوى الاعتكاف إلى العشاء وتحى مابين العشاءين بصلاة، فقد ورد فضل ذلك مالا يحصى وهى ناشئة الليل لأنها أول نشأته وهى صلاة الأوابين وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ»(٤) فَقَالَ «هِيَ الصَّلَاةُ مَابَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ إِنَّهَا تَذْهَبُ بِمَلْغَيَاتِ أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ» والملغيات جمع ملغاه وهى من اللغو. فأذا دخل وقت العشاء فصل أربع ركعات قبل الفرض إحياء لما بين الأذانين ففضل ذلك كثير. وفى الخبر «أن الدُّعَاءَ بَيْنَ الأذانِ والإقامةِ لا يُرَدُّ»(٥) ثم صل الفرض وصل الراتبة ركعتين واقرأ فيهما سورة ألم السجدة وتبارك الملك أو سورة يس والدخان فذلك مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصل بعده أربع ركعات، ففى الخبر مايدل على عظيم فضلها ثم صل الوتر بعدها ثلاثا بتسليمتين أو بتسليمة واحدة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فيهما سورة سبح اسم ربك الأعلى وقل يأيها الكافرون والإخلاص والمعوذتين فإن كنت عازما

(١) ٣٩ ك ق ٥٠.

(٢) ١ ك الشمس ٩١.

(٣) ١ ك الليل ٩٢.

(٤) ١٦٦ م السجدة ٣٢.

(٥) مفتاح كنوز السنة.

على قيام الليل فأخر الوتر ليكون آخر صلاتك بالليل وترا، ثم اشتغل بعد ذلك بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب ولاتشتغل باللهو واللعب فيكون ذلك خاتمة أعمالك قبل نومك فأن الأعمال بخواتيمها.

آداب النوم

فأذا أردت النوم فابسط فراشك مستقبل القبلة ونم على يمينك كما يضجع الميت فى لحده واعلم أن النوم مثل الموت واليقظة مثل البعث ولعل الله تعالى يقبض روحك فى ليلتك فكن مستعداً للقائه بأن تنام على طهارة وتكون وصيتك مكتوبة تحت رأسك وتنام تائبا من الذنوب مستغفراً عازماً على أن لاتعود إلى معصية، واعزم على الخير لجميع المسلمين أن بعثك الله تعالى وتذكر أنك ستضجع فى اللحد كذلك وحيدا فريدا ليس معك إلا عملك ولا تجزى إلا بسعيك ولا تستجلب النوم تكلفاً بتمهيد الفرش الوطيئة فأن النوم تعطيل الحياة إلا أذا كانت يقظتك وبالا عليك فنومك سلامة لدينك. وأعلم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فلا يكون نومك بالليل والنهار أكثر من ثمان ساعات فيكفيك أن عشت مثلا ستين سنة أن تضيع منها عشرين وهو ثلث عمرك وأعد عند النوم سواكك وطهورك واعزم على قيام الليل أو على القيام قبل الصبح وركعتان فى جوف الليل كنز من كنوز البر، فإستكثر من كنوزك ليوم فقرك فلن تغنى عنك كنوز الدنيا أذا مت. وقل عند نومك باسمك ربى وضعت جنبى وباسمك أرفعه فاغفر لى ذنبى، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم بأسمك أحيا وأموت أعوذ بك، اللهم من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم اللهم أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك محياها ومماتها أن أمتها فأغفر لها وإن أحييتها فأحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين، اللهم إنى أسألك العفو والعافية. اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك حتى تقربنى إليك زلفى وتبعدنى عن سخطك بعداً أسألك

فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى، ثم اقرأ آية الكرسى وآمن الرسول إلى آخر السورة والإخلاص والمعوذتين وسورة تبارك الملك وليأخذك النوم وأنت على ذكر الله وعلى الطهارة فمن فعل ذلك عرج بروحه إلى العرش وكتب مصليا إلى أن يستيقظ، فأذا استيقظت فأرجع إلى ماعرفتك أولا وداوم على هذا الترتيب بقية عمرك فأن شقت عليك المداومة فاصبر صبر المريض على مرارة الدواء انتظاراً للضفاء وتفكر فى قصر عمرك وإن عشت مثلا مائة سنة فهى قليلة بالإضافة إلى مقامك فى الدار الآخرة وهى أبد الآباد، وتأمل أنك كيف تتحمل المشقة والذل فى طلب الدنيا شهراً أو سنة رجاء أن تستريح بها عشرين سنة مثلا فكيف لاتتحمل ذلك أياما قلائل رجاء الاستراحة أبد الآباد. ولاتطول أملك فيثقل عليك عملك وقدر قرب الموت وقل فى نفسك إنى أحتمل المشقة اليوم فلعلى أموت الليلة، وأصبر الليلة فلعلى أموت غدا فأن الموت لايهجم فى وقت مخصوص وحال مخصوص وسن مخصوص فلابد من هجومه فالاستعداد له أولى من الاستعداد للدنيا وأنت تعلم أنك لاتبقى فيها إلا مدة يسيرة ولعله يبق من أجلك إلا يوم واحد أو نفس واحد. فقدر هذا فى قلبك كل يوم وكلف نفسك الصبر على طاعة الله يوما يوما فأنك لو قدرت البقاء خمسين سنة وألزمتها الصبر على طاعة الله تعالى نفرت واستعصت عليك فأن فعلت ذلك فرحت عند الموت فرحا لا آخر له وإن سوفت وتساهلت جاء الموت فى وقت لاتحتسبه وتحسرت تحسراً لا آخر له وعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الموت يأتيك خير العقبى ولتعلمن نبأه بعد حين. واذ أرشدنا إلى ترتيب الأوراد فلنذكر لك كيفية الصلاة والصوم وآدابهما وآداب القدوة والجماعة والجمعة.

آداب الصلاة

فاذا فرغت من طهارة الخبث وطهارة الحدث فى البدن والثياب والمكان، ومن ستر العورة من السرة إلى الركبة فاستقبل القبلة قائما مفرجا بين قدميك بحيث لاتضمهما واستو قائما ثم أقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا بها من الشيطان الرجيم وأحضر قلبك

وفرغه من الوسواس وأنظر بين يدى من تقوم ومن تناجى واستح أن تناجى مولاك بقلب غافل وصدر مشحون بوسواس الدنيا وخبائث الشهوات وأعلم أن الله تعالى مطلع على سرير تك وناظر إلى قلبك فانما يتقبل الله من صلاتك بقدر خشوعك وخضوعك وتواضعك وتضرعك واعبده فى صلاتك كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك فان لم تحضر قلبك ولم تسكن جوارحك فهذا لقصور معرفتك بجلال الله تعالى فقدر أن رجلا صالحا من وجوه أهل بيتك ينظر إليك ليعلم كيف صلاتك فعند ذلك يحضر قلبك وتسكن جوارحك ثم أرجع إلى نفسك فقل يانفس السوء ألا تستحين من خالقك ومولاك اذا قدرت اطلاع عبد ذليل من عباده اطلع عليك وليس بيده نفعك ولا ضرك خشعت جوارحك وحسنت صلاتك ثم أنك تعلمين أنه مطلع عليك ولا تخشعين لعظمته أهو تعالى عندك أقل من عبد من عباده فما أشد طغيانك وجهلك وما أعظم عدواتك لنفسك فعالج قلبك بهذه الحيل فعساه أن يحضر معك فى صلاتك فأنه ليس لك من صلاتك إلا ماعقلت منها وأما ما أتيت به مع الغفلة والسهو فهو إلى الاستغفار والتكفير أحوج فاذا حضر قلبك فلا تترك الإقامة وإن كنت وحدك وإن انتظرت حضور جماعة غيرك فأذن ثم أقم فاذا أقمت فانو وقل فى قلبك أؤدى فرض الظهر لله تعالى وليكن ذلك حاضراً فى قلبك عند تكبيرك لا تغرب عنك النية قبل الفراغ من التكبيرة وأرفع يديك عند التكبير بعد ارسالهما أولا إلى منكبيك وهما مبسوطتان وأصابعهما منشورة ولاتتكلف ضمهما ولاتفريقهما وارفع يديك بحيث تحاذى بابهاميك شحمتى أذنيك ورءوس أصابعك أعالى أذنيك وتحاذى بكفيك منكبيك فاذا استقرتا فى مقرهما فكبر ثم أرسلهما برفق ولاتدفع يديك عند الرفع والأرسال إلى قدام دفعا ولا إلى الخلف رفعاً ولا تنفضهما يمينا ولا شمالا فاذا أرسلتهما فاستأنف رفعهما إلى صدرك وأكرم اليمنى بوضعها على الشمال وانشر أصابع اليمنى على طول ذراعك اليسرى واقبض بها على كوعها وقل بعد التكبير الله أكبر كبير والحمد لله كثير وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم أقرأ وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين الآيتين إلى آخرهما ثم قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم أقرأ الفاتحة بتشديداتها واجتهد فى الفرق بين الضاد والظاء فى قراءتك فى الصلاة

وقل آمين ولاتصله بقولك ولا الضالين وصلا واجهر بالقراءة فى الصبح والمغرب والعشاء أعنى الركعتين الأولين إلا أن تكون مأموماواجهر بالتأمين واقرأ فى الصبح بعد الفاتحة من السور طوال المفصل وفى المغرب من قصاره وفى الظهر والعصر والعشاء من أوساطه نحو والسماء ذات البروج وما قاربها من السور وفى الصبح فى السفر قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد ولاتصل آخر السورة بتكبيرة الركوع ولكن افصل بينهما بمقدار سبحان الله وكن فى جميع قيامك مطرقا قاصراً نظرك على مصلاك فذلك أجمع لهمك وأجدر لحضور قلبك وأياك أن تلتفت يمينا وشمالا فى صلاتك. ثم كبر للركوع وارفع يديك كما سبق ومد التكبير إلى إنتهاء الركوع ثم ضع راحتيك على ركبتيك بأصابعك منشورة وانصب ركبتك ومد ظهرك وعنقك ورأسك مستويا كالصفيحة الواحدة وجاف مرفقيك عن جنبيك والمرأة لا تفعل ذلك بل تضم بعضها إلى بعض وقل سبحان ربى العظيم وبحمده وإن كنت منفرداً فالزيادة إلى السبع والعشر حسن ثم ارفع رأسك حتى تعتدل قائما وأرفع يديك قائلا سمع الله لمن حمد فاذا استويت قائما فقل ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الأرض وملء ماشئت من شئ بعد، وإن كنت فى فريضا الصبح فاقرأ القنوت فى الركعة الثانية فى اعتدالك من الركوع ثم اسجد مكبراً غير رافع اليدين وضع أولا على الأرض ركبتيك ثم يديك ثم جبهتك مشكوفة وضع أنفك مع الجبهة وجاف مرفقيك عن جنبيك وأقل بطنك عن فخديك والمرأة لا تفعل ذلك وضع يديك على الأرض حذو منكبيك ولا تفرش ذراعيك على الأرض، وقل سبحان ربى الأعلى ثلاثا أو سبعا أو عشرا إن كنت منفردا. ثم ترفع من السجود مكبراً حتى تعتدل جالسا وأجلس على رجلك اليسرى وانصب قدمك اليمنى وضع يديك على فخذك والأصابع منشورة، وقل رب اغفر لى وارحمنى وارزقنى واهدنى واجبرنى وعافنى واعف عنى، ثم اسجد سجدة ثانية كذلك ثم اعتدل جالسا جلسة الاستراحة فى كل ركعة لاتتشهد عقبها، ثم تقوم وتضع اليدين على الأرض ولا تقدم إحدى رجليك فى حالة الأرتفاع وإبتدئ بتكبيرة الأرتفاع عند القرب من حد جلسة الاستراحة ومدها إلى منتصف أرتفاعك إلى القيام، ولتكن هذه الجلسة جلسة خفيفة مختطفة، وصل الركعة الثانية كالأولى وأعد التعوذ فى الإبتداء ثم تجلس فى الركعة الثانية للتشهد

الأول وضع اليد اليمنى فى جلوسك للتشهد الأول على الفخذ اليمنى مقبوضة الأصابع إلا المسبحة والأبهام فترسلهما وأشربمسبحة يمناك عند قولك إلا الله لا عند لا إله، وضع اليسرى منشورة الأصابع على الفخذ اليسرى بمسبحة ممناك عند قولك واجلس على رجلك اليسرى فى هذا التشهد كما بين السجدتين وفى التشهد الأخير متوركا واستكمل الدعاء المعروف المأثور بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم، واجلس فيه على وركك الأيسر وضع رجلك اليسرى خارجة من تحتك وانصب القدم اليمنى ثم قل بعد الفراغ السلام عليكم ورحمة الله مرتين من الجانبين والتفت بحيث يرى خدك من جانبك وانو الخروج من الصلاة وانو السلام على من على جانبك من الملائكة والمسلمين وهذه هيئة صلاة المنفرد وعماد الصلاة الخشوع وحضور القلب مع القراة والذكر بالفهم، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى كل صلاة لايحضر فيها القلب فهى إلى العقوبة أسرع وقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّ العبدَ لَيُصَلِّى الصلاةَ فَلاَ يُكْتَبُ لَهُ مِنها سدُسُهَا ولاَعُشْرُهَا وإِنمَا يُكْتَبُ لِلعَبْدِ مَنَ صَلاَتهِ بِقَدْرِ ما عَقَلَض منْهاَ»(١).

آداب الإمامة والقدوة

ينبغى للإمام أن يخفف الصلاة قال أنس(٢)رضى الله عنه ماصليت خلف أحد صلاة أخف ولا أتم من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يكبر مالم يفرغ المؤذن من الإقامة وما لم تسو الصفوف ويرفع الإمام صوته بالتكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر مايسمع نفسه وينوى الإمام الإمامة لينال الفضل فأن لم ينو صحت صلاة القوم أذا نووا الإقتداء به ونالوا فضل القدوة، ويسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة ولاسورة فى جميع الصبح وأولتى المغرب والعشاء وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الجهرية، وكذلك المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الإمام

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) هو أنس بن مالك بن النضر أبو حمزة الأنصارى المدنى، خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وله صحبة طويلة وحديث كثير، مات فى سنة ٩٣هـ.

معلا تعقيبا له ويسكت الإمام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب إليه نفسه ويقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الإمام ولا يقرأ المأموم لسورة فى الجهرية إلا اذا لم يسمع صوت الإمام ولا يزيد على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد. ويقتصر في الركعتين ولا يزيد فى التشهد الأول بعد الأخيرتين على الفاتحة ولايطول علي القوم ولايزيد دعاؤه فى التشهد الأخير على قدر تشهده وصلاته على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينوى الإمام عند التسليم السلام على القوم وينوى القوم بتسليمهم جوابه ويلبث الإمام ساعة بعد ما يفرغ من السلام ويقبل على الناس بوجهه ولا يلتفت إن كان خلفه النساء لينصرفن أولا ولا يقوم أحد من القوم حتى يقوم الإمام، وينصرف الإمام حيث شاء عن يمينه أو شماله واليمين أحب إليه ولا يخص الإمام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم أهدنا ويجهر به ويؤمن القوم ولايرفعون أيديهم إذ لم يثبت ذلك فى الأخبار ويقرأ المأموم بقية القنوت من قول أنك تقضى ولا يقضى عليك. ولا يقف المأموم وحده بل يدخل الصف أو يجر إلى نفسه غيره. ولاينبغى للمأموم أن يتقدم على الإمام فى أفعاله أو يساويه بل ينبغى أن يتأخر ولا يهوى للركوع إلا أذا إنتهى الإمام إلى حد الركوع. ولا يهوى للسجود مالم تصل جبهة الإمام إلى الأرض.

آداب الجمعة

اعلم أن الجمعة عيد المؤمنين وهو يوم شريف خص الله عز وجل به هذه الأمة وفيه ساعة مبهمة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها حاجة إلا أعطاه اياها فاستعد لها من يوم الخميس بتنظيف الثياب وبكثرة التسبيح والاستغفار عشية الخميس، فأنها ساعة توازى فى الفضل ساعة يوم الجمعة وانو صوم يوم الجمعة لكن مع السبت أو الخميس إذا جاء فى أفرادها نهى فاذا طلع عليك الصبح فاغتسل فأن غسل يوم الجمعة واجب على كل محتمل أى ثابت مؤكد. ثم تزين بالثياب البيض فأنها أحب الثياب إلى الله تعالى. واستعمل من الطيب أطيب ماعندك. وبالغ فى تنظيف بدنك بالحلق والقص

والتقليم والسواك وسائر أنواع النظافة وتطييب الرائحة، ثم بكر إلى الجامع واسع إليها على الهينة والسكينة فقد قال صلى الله عليه وسلم من راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنه ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا ومنراح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة قال فأذا خرج الإمام طويت الصحف ورفعت الأقلم واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون ويقال إن النظر إلى وجه الله تعالى على قدر بكورهم إلى الجمعة، ثم أذا دخلت الجامع فاطلب الصف الأول فأن اجتمع الناس فلا تتخط رقابهم ولا تمر بين أيديهم وهم يصلون وأجلس بقرب حائط أو أسطوانة حتى لا يمروا بين يديك ولا تقعد حتى تصلى التحية والأحسن أن تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة خسمين مرة سورة الإخلاص ففى الخبر من فعل ذلك لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا تترك التحية وأن كان الإمام يخطب ومن السنة أن تقرأ فى أربع ركعات سورة الأنعام والكهف وطه ويس فأن لم تقدر فسورة يس والدخان والم السجدة وسورة الملك ولاتدع قراءة هذه السورة ليلة الجمعة ففيها فضل كثيرة ومن لم يحسن ذلك فليكثر من قراءة سورة الإخلاص واكثار الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا اليوم خاصة. ومهما خرج الإمام فاقطع الصلاة والكلام واشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة والاتعاظ بها ودع الكلام رأسا فى الخطبة ففى الخبر أن من قال لصاحبة والإمام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له أى لأن قوله أنصت كلام فينبغى أن ينهى غيره بالإشارة لا باللفظ. ثم اقتد بالإمام كما سبق فاذا فرغت وسلمت فأقرأ الفاتحة قبل أن تتكلم سبع مرات والإخلاص سبعا والمعوذتين سبعا فذلك يعصمك من الجمعة إلى الجمعة الأخرى ويكون حرزاً لك من الشيطان وقل بعد ذلك اللهم ياغنى ياحميد يامبدى يامعيد يارحيم ياودود أغنى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك. ثم صل بعد الجمعة ركعتين أو أربعا وكن حسن المراقبة أو ستامشنى فكل ذلك مروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أحوال مختلفة.ثم لازم المسجد إلى المغرب أو إلى العصر مبهمة فى جميع اليوم فعساك أن تدركها وأنت خاشع لله متضرع للساعة الشريفة فأنها ولاتحضر في الجامع مجالس الخلق ولا مجالس

القصاص بل مجلس العلم النافع وهو الذى يزيد في خوفك من الله تعالى وينقص من رغبتك في الدنيا فكل علم لايدعك من الدنيا إلى الآخرة، فالجهل أعود عليك منه فاستعذ بالله من علم لاينفع. وأكثر الدعاء عند طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب وعند الإقامة وعند صعود الخطيب المنبر وعند قيام الناس إلى الصلاة فيوشك أن تكون الساعة الشريفة فى بعض هذه الأوقات واجتهد أن تتصدق فى هذا اليوم كما تقدر عليه وإن قل فتجمع بين الصلاة والصوم والصدقة والقراءة والذكر والاعتكاف والرباط واجعل هذا اليوم من الاسبوع خاصة لأخرتك فعساه أن يكون كفارة لبقية الأسبوع.

آداب الصيام

لاينبغى أن تقتصر على صوم رمضان فتترك التجارة بالنوافل وكسب الدرجات العالية فى الفراديس فتتحسر اذا نظرت إلى الصائمين كما تنظر إلى الكواكب الدرى وهم في أعلى عليين والأيام الفاضلة التى شهدت الأخبار بفضلها وبشرفها وبجزالة الثواب في صيامها يوم عرفة لغير الحاج ويوم عرفة لغير الحاج ويوم عاشوراء والعشر الأول من ذى الحجة والعشر الأول من المحرم ورجب وشعبان، وصوم الأشهر الحرم من الفضائل وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد. وهذه فى السنة. وأما فى الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره والأيام البيض وهى الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر. وأما فى الأسبوع فيوم الأثنين والخميس والجمعة فتكفر ذنوب الأسبوع بصوم الأثنين والخميس وذنوب الشهر تكفر باليوم الأول من الشهر واليوم الأوسط واليوم الآخر والأيام البيض، وتكفر ذنوب السنة بصيام هذه الأيام والأشهر المذكورة ولا تظن اذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط قال صلى الله عليه وسلم «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْس لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إلاَّ الجوعُ وَالعَطَشُ» بل تمام الصيام بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالى بل ينبغى أن تحفظ العين عن النظر إلى الكاره واللسان عن النطق بما لايعنيك والأذن عن الاستماع إلى ماحرم الله فإن المستمع شريك

القائل وهو أحد المغتابين. وكذلك تكف جميع الجوارح كما تكف البطن والفرج ففى الخبر «خمسٌ يُفطِّرْن الصائمَ: الكذبُ والغيبةُ والنميمةُ والنظرُ بشَهوة واليمينُ الكاذبةُ: وقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّماَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ فإذَا كاَنَ أحدكم صائِماً فلاَ يَرْفُثْ ولاَ يَفسُقْ ولاَ يَجْهَلْ فإِن امرؤٌ قاَتَلَهُ أوْ شاَتَمَهُ فلْيَقُلْ إِنِّى صائمٌ»[1] ثم أجتهد أن تفطر على طعام حلال ولا تستكثر فتزيد على ما تأكله كل ليلة لأجل صيامك فلا فرق اذا استوفيت ماتعتاد أن تأكله دفعة أو دفعتين وانما المقصود كسر شهوتك وتضعيف قوتك لتقوى بها على التقوى، فاذا أكلت عيش مافاتك فقد تداركت به مافاتك فلا فائدة لوصولك وقد ثقلت عليك معدتك ومامن وعاء أبغض إلى الله من بطن ملئ من حلال فكيف أذا كان من حرام. فأذا عرفت معنى الصوم فاستكثر منه ما استطعت فانه أساس العبادات ومفتاح القربات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى «كلُّ حَسنَةٍ بِعَشْرِ أمْثالِهَا إلى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ إِلاَّ الصَّوْمَ فإنهُ لِى وأنا أجزْى به»[2] وقال صلى الله عليه وسلم «وَالذِى نفْسى بِيَدِهِ لخُلُوفُ فم الصَّائم أطْيبُ عندَ الله منْ ريح المسكِ يَقُولُ اللهُ عزَّ وجلَّ انمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وطعامَهُ وَشَرَابَهُ منْ أجلِى فالصَّوْمُ لِى وَأَنا أجزْىَ به»[3] وقال صلى الله عليه وسلم «للجَنَّةِ بَابٌ يُقالُ لَهُ الرَّيانُ لاَ يَدْخُلُهُ الاَّ الصَّائمون»[4] فهذا القدر يكفيك من شر الطاعات من بداية الهداية فاذا احتجت إلى الزكاة وإلى الحج أو إلى مزيد شرح الصلاة والصيام فاطلبه مما أردناه فى كتاب إحياء علوم الدين.

القسم الثانى القول فى أجتناب المعاصى

أعلم أن الدين شطران أحدهما ترك المناهى والآخر فعل الطاعات وترك المناهى وهو الأشد فان الطاعات يقدر عليها كل أحد وترك الشهوات لايقدر عليه إلا الصديقون

(١) انظر: مفتاح كنوز السنة.

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ الحديث.

(٣) انظر: مفتاح كنوز السنة.

(٤) انظر: مفتاح كنوز السنة.

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «المهاجرُ من هجَرَ السوءَ والمُجَاهدُ من جاهدَ هواهُ» واعلم أنك انما تعصى الله بجوارحك وانما هى نعمة من الله عليك وأمانة لديك فاستعانتك بنعمة الله على معصيته غاية الكفران وخيانتك فى أمانة أودعكها الله غاية الطغيان فأعضاؤك رعاؤك فانظر كيف ترعاها فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته. واعلم أن جميع أعضائك ستشهد عليك فى عرصات القيامة بلسان طلق ذلق أى فصيح تفضحك به على رؤوس الخلائق قال الله تعالى «يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ»(١) وقال تعالى «الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»(٢) فاحفظ جميع بدنك وخصوصا أعضاءك السبعة فإن جهنم لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم ولا يتعين لتلك الأبواب إلا من عصى الله بهذه الأعضاء السبعة وهى العين والأذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل أما العين فأنما خلقت لك لتهتدى بها فى الظلمات وتستعين بها فى الحاجات وتنظر بها إلى عجائب ملكوت الأرض والسموات وتعتبر بما فيها من الآيات فاحفظها عن ثلاث أو أربع أن تنظر بها إلى غير محرم أو إلى صورة مليحة بشهوة نفس أو تنظر بها إلى مسلم بعين الاحتقار أو تطلع بها على عيب مسلم. وأما الأذن فاحفظها عن أن تصغى بها إلى البدعة أو الغيبة أو الفحش أو الخوض فى الباطل أو ذكر مساوى الناس فانما خلقت لك لتسمع بها كلام الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكمة أوليائة وتتوصل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم. فاذا أصغيت بها إلى شئ من المكاره صارما كان لك عليك وانقلب ماكان سبب فوزك وسبب هلاكك فهذه غاية الخسران. ولا تظنن أن الأثم يختص به القائل دون المستمع ففى الخبر: أن المستمع شريك القائل وهو أحد المغتابين. وأما اللسان فأنما خلق لك لتكثر به ذكر الله تعالى فسأل الله أن يرشد خلق الله تعالى إلى طريقه وتظهر به مافى ضميرك من حاجات دينك ودنياك فاذا استعملته فى غير ما خلق له فقد كفرت نعمة

---

(١) ٢٤ م النور ٢٤.

(٢) ٦٥ ك يس ٣٦.

الله تعالى فيه وهو أغلب أعضائك عليك وعلى سائر الخلق ولا يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوتك حتى لا يكبك فى قعور جهنم ففى الخبر «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ لِيُضْحِكَ بهَا أَصْحَابَهُ فَيَهْوِى بهَا فِى قَعْرِ جَهَنَّم سَبْعِينَ خَرِيفًا»(١) وقتل شهيد فى المعركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائل هنيئا له الجنة فقال صلى الله عليه وسلم «مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ كَانَ يَتَكَلَّمُ فِيماَ لاَ يَعْنِيه وَيَبْخَلُ بِمَا لاَ يُغْنِيه»(٢) فاحفظ لسانك من ثمانية الأولى الكذب فاحفظ منه لسانك فى الجد والهزل ولا تعود نفسك الكذب هزلا فيدعوك إلى الكذب فى الجد، والكذب من أمهات الكبائر. ثم انك اذا الأبواب إذما سقط عدالتك وانتفى قولك وتزدريك الأعين وتحتقرك. واذا أردت أن تعرف قبح الكذب من نفسك فأنظر إلى كذب غيرك وإلى نفرة نفسك عنه واستحقارك لصاحبه واستقباحك لما جاء به، وكذلك فافعل فى جميع عيوب نفسك فأنك لاتدرى قبح عيوبك من نفسك بل من غيرك، فما استقبحته من غيرك يستقبحه غيرك منك لا محالة فلا ترض لنفسك ذلك «الثانية» الخلف فى الوعد فأياك أن تعد بشئ ولا تفى به بل ينبغى أن تكون إحسانك إلى الناس فعلا بلا قول فأن اضطررت الى الوعد فأياك أن تتخلف لا لعجز أو ضرورة فأن ذلك من أمارات النفاق وخبائث الأخلاق قال عليه السلام «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فيه فهوَ مُنَافقٌ وإِنْ صامَ وَإِنْ صلّى: مَنْ اذاَ حَدَّثَ كَذَبَ واذاَ وَعَدَ أَخْلَفَ واذاَ أُئْتُمِنَ خَانَ»(٣) «الثالثة» حفظ اللسان من الغيبة، والغيبة أشد من ثلاثين زنية فى الإسلام كذلك ورد فى الخبر ومعنى الغيبة أن تذكر إنسانا بما يكرهه لو سمعه، فأنت مغتاب ظالم وإن كنت صادقا وأياك وغيبة القراء المرائين وهو أن تفهم المقصود من غير تصريح فتقول أصلحه الله فقد أساءنى وغمنى ماجرى عليه فنسأل الله أن يصلحنا وإياه فان هذا جمع بين خبثين أحداهما الغيبة اذا حصل بها التفهم والآخر تزكية النفس والثناء عليها بالتحرج

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

(٣) مفتاح كنوز السنة

والصلاح ولكن إن كان مقصودك من قولك أصلحه الله الدعاء له فى السر. وان أغتممت بسببه فعلامته أنك لاتريد فضيحته واظهار غيبته وفى اظهارك الغم بعيبه اظهار تعييبه ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى «وَلاَ يغْتَبْ بعْضُكُمْ بعْضاً أيُحبُّ أحَدُكُمْ أنْ يأكُلَ لحْمَ أخيهِ مَيْتاً فَكَرِ هْتُموهُ»[1] فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة فما أجدر أن تحترز منها. ويمنعك عن غيبة المسلم أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر فى نفسك هل فيك عيب ظاهر أو باطن وهل أنت مقارف معصية سراً أو جهراً فأذا عرفت ذلك فى نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك وعذره كعذرك، كما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك فهو أيضا يكرهه فأن سترته ستر الله عيبك وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا يمزقون عرضك فى الدنيا ثم يفضحك الله فى الآخرة على رءوس الخلائق يوم القيامة وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص فى دين ولا دنيا فأعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة ولا عيب أعظم من الحمق ولو أراد الله بك خيراً لبصرك بعيوب نفسك فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك. ثم أن كنت صادقا فى ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بسبب الناس والتمضمض بأعراضهم فأن ذلك من أعظم العيوب «الرابعة» المراء والجدال ومنافشة الناس فى الكلام فذلك فيه ايذاء للمخاطب وتجهيل له وطعن فيه وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم ثم هو مشوش للعيش فأنك لاتمارى سفيها إلا ويؤذيك ولا تمارى حليما إلا ويقليك ويحقد عليك وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَركَ المِرَاءَ وَهُوَ مُبْطِلٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي رَبَضَ الْجَنَّةِ وَمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَهُوَ مُحِقٌ بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي أعْلَى الْجَنَّةِ»[2] ولا ينبغى أن يخدعك الشيطان ويقول لك أظهر الحق ولا تداهن فيه فأن الشيطان أبدا فى معرض الخير فلا تكن ضحكة للشيطان يسخر بك فاظهارك الحق يستجر الحمقى إلى الشر حسن مع من يقبله منك وذلك بطريق النصيحة فى الخفية لا بطريق المماراة وللنصيحة صيغة وهيئة ويحتاج

(١) ١٢ م الحجرات ٤٩.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

فيها إلى تلطف والإصارت فضيحة وصار فسادها أكثر من صلاحها. ومن خالط متفقهة العصر غلب على طبعه المراء والجدال وعسر عليه الصمت اذا ألقى عليه علماء السوء أن ذلك هو الفضل والقدرة على المحاجة والمناقشة وهو الذى يتمدح به ففر منهم فرارك من الأسد وأعلم أن المراء سبب المقت عند الله وعند الخلق «الخامسة» تزكية النفس قال الله تعالى «فَلاَ تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتقَى»[1] وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه. فأياك أن تتعود ذلك. وأعلم أن ذلك ينقص من قدرك عند الناس ويوجب مقتك عند الله فأذا أردت أن تعرف أن ثناءك على نفسك لايزيد فى قدرك عند غيرك فانظر إلى أقرانك اذا أثنوا على أنفسهم بالفضل والجاه والمال كيف يستنكره قلبك عليهم ويستثقله طبعك وكيف تذمهم عليه أذا فارقتهم فأعلم أنهم أيضا فى حال تزكيتك لنفسك يذمونك فى قلوبهم ناجزا وسيظهرونه بألسنتهم أذا فارقتهم «السادسة» اللعن فأياك أن تلعن شيئا مما خلق الله تعالى من حيوان أو طعام أو أنسان بعينه ولاتقطع بشهادتك على أحد من أهل القبلة بشرك أو كفر أو نفاق، فأن المطلع على السرائر هو الله تعالى فلا تدخل بين العباد وبين الله تعالى واعلم أنك يوم القيامة لايقال لك لم لم تلعن فلانا ولم سكت عنه بل لو لم تلعن ابليس طول عمرك ولم تشغل لسانك بذكره لم تسئل عنه ولم تطالب به يوم القيامة واذا لعنت أحد من خلق الله تعالى طولبت. ولاتذ من شيئا مما خلق الله تعالى فقد كان النبى صلى الله عليه وسلم لايذم الطعام الردئ قط بل كان أذا اشتهى شيئا أكله وإلا تركه «السابعة» الدعاء على الخلق احفظ لسانك عن الدعاء على أحد من خلق الله تعالى وإن ظلمك فكل أمره إلى الله تعالى ففى الحديث «إِنَّ الْمَظْلُومَ لَيَدْعُو عَلَى ظَالِمِه حَتَّى يُكافئَه ثم يكونُ للظالم فضلُ عندَه يُطالبهُ به يومَ القيامة»[2] وطوّل بعض الناس لسانه على الحجاج فقال بعض السلف: ان الله لينتقم للحجاج ممن يتعرض له بلسانه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه. «الثامنة» المزاح والسخرية والاستهزاء بالناس فأحفظ

---

(١) ٣٢ م النجم ٥٣.

(٢)مفتاح كنوز السنة.

لسانك منه فى الجد والهزل فأنه يريق ماء الوجه ويسقط المهابة ويستجر الوحشة ويؤذى القلوب وهو مبدأ اللجاج والغضب والتصارم ويغرس الحقد فى القلوب فلا تمازح أحداً وإن مازحوك فلا تجبهم وأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره، وكن من الذين أذا مروا باللغو مروا كراما. فهذه فى مجامع آفات اللسان ولايعينك عليه إلا العزلة وملازمة الصمت إلا بقدر الضرورة فقد كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يضع حجراً فى فيه ليمنعه ذلك من الكلام بغير ضرورة ويشير إلى لسانه ويقول هذا الذى أوردنى الموارد كلها. فاحترز منه فأنه أقوى أسباب هلاكك فى الدنيا والآخرة «وأما البطن» فاحفظه من تناول الحرام والشبهة واحرص على طلب الحلال فاذا وجدته فاحرص على أن تقتصر منه على مادون الشبع، فأن الشبع يقسى القلب ويفسد الذهن ويبطل الحفظ ويثقل الأعضاء عن العبادة والعلم ويقوى الشهوات وينصر جنود الشيطان والشبع من الحلال مبدأ كل شر فكيف من الحرام وطلب الحلال فريضة على كل مسلم والعبادة والعلم مع أكل الحرام كالبناء على السرجين فأذا قنعت فى السنة بقيمص خشن وفى اليوم والليلة برغيفين من الخشكار وتركت التلذذ بأطيب الادم لم يعوزك من الحلال ما يكفيك والحلال كثير وليس عليك أن تتيقن بواطن الأمور بل عليك أن تحترز مما تعلم أنه حرام أو تظن أنه حرام ظنا حصل من علامة ناجزة مقرونة بالمال. أما المعلوم فظاهر وأما المظنون بعلامة فهو مال السلطان وعماله ومال من لاكسب له من النياحة أو بيع الخمر أو الربا أو المزامير الحرام حتى من علمت أن أكثر ماله حرام قطعا فما تأخذه من يده وإن وغير ذلك من آلات اللهو أمكن أن يكون حلالاً نادراً فهو حرام لأنه الغالب على الظن. ومن الحرام المحصن مايؤكل من الأوقاف من غير شرط الواقف فمن لم يشتغل بالتفقه فما يأخذه من المدارس حرام ومن أرتكب معصية ترديها شهادته فما يأخذه باسم الصوفية من وقف أو غيره حرام وقد ذكرنا مداخل الشبهات والحلال والحرام فى كتاب مفرد من كتب إحياء علوم الدين فعليك بطلبه فأن معرفة الحلال وطلبه فريضة على كل مسلم كالصلوات الخمس «وأما الفرج» فأحفظه عن كل ما حرم الله تعالى وكن كما قال الله تعالى «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا

مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ»[1] ولاتصل إلى حفظ الفرج إلا بحفظ العين عن النظر وحفظ القلب عن الفكر وحفظ البطن عن الشبهة وعن الشبع فأن هذه محركات للشهوة ومغارسها. وأما اليدان فاحفظهما عن أن تضرب بهما مسلما أو تتناول بهما ملا حراما أو تؤذى بهما أحدا من الخلق أو تخون بهما فى أمانة أو وديعة أو تكتب بهما مالا يجوز النطق به فأن القلم أحد اللسانين فأحفظ القلم عما يجب حفظ اللسان عنه «وأما الرجلان» فأحفظهما عن أن تمشى بهما إلى حرام أو تسعى بهما إلى باب سلطان ظالم فالمشى إلى السلاطين الظلمة من غير ضرورة وارهاق معصية كبيرة فانه تواضع لهم واكرام لهم على ظلمهم وقد أمر الله تعالى بالأعراض عنهم فى قوله تعالى «وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّار»[2] الآية وإن كان ذلك لسبب طلب مالهم فهو سعى إلى الحرام وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَنْ تَوَاضَعَ لِغَنِىٍّ صَالِح لِغِنَاهُ ذَهَب ثُلُثَا دِينِه»[3] هذا فى غنى صالح فما ظنك بالغنى الظالم وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من نعم الله تعالى عليك فلا تحرك شيئا منها فى معصية الله تعالى أصلا واستعملها فى طاعة الله تعالى واعلم أنك ان قصرت فعليك رجع وباله وإن شمرت فإليك ترجع ثمرته والله غنى عنك وعن عملك وإنما كل نفس بما كسبت رهينة.وأياك أن تقول إن الله كريم رحيم يغفر الذنوب للعصاه فأن هذه كلمة حق أريد بها باطل وصاحبها مقلب بالحماقة بتقليب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال «أَلْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِما بَعْدَ المَوْتِ وَالاَحْمَقُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهاَ وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الأَمَانِىَّ»[4] وأعلم أن قولك هذا أيضا هى قول من يريد أن يصير فقيها فى علوم الدين واشتغل بالبطالة وقال أن الله كريم رحيم قادر على أن يفيض على قلبى من العلوم ما أفاضه على قلوب أنبيائه وأوليائه من غير جهد وتكرار وتعلق وهو كقول من

---

(١) ٣٠ ك المعارج ٧٠.

(٢) ١١٣ ك هود ١١.

(٣) مفتاح كنوز السنة.

(٤) مفتاح كنوز السنة.

يريد مالا فترك الحراثة والتجارة والكسب وتعطل وقال أن الله كريم رحيم وله خزائن السموات والأرض وهو قادر على أن يطلعنى على كنز من الكنوز أستغنى به عن الكسب فقد فعل ذلك لبعض عباده فأنت أذا سمعت كلام هذين الرجلين استحمقهما وسخرت منهما وإن كان ما وصفاه من كرم الله تعالى وقدرته صدقا حقا فكذلك يضحك عليك أرباب البصائر فى الدين اذا طلبت المغفرة سعى لها والله تعالى يقول «وَأَنْ لَيْسَ لِلانْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى»(١) ويقول «إِنَّمَا تُجْزَوْنَ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»(٢) ويقول «إِنَّ الأَ بْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ»(٦) فاذا لم تترك السعى فى طلب العلم والمال اعتمادا على كرمه فكذلك لاتترك التزود للآخرة ولا تغتر فأن رب الدنيا والآخرة واحد وهو فيهما كريم ورحيم ليس يزيد له كرم بطاعتك وأنما كرمه فى أن ييسر لك طريق الوصول إلى الملك المقيم المخلد بالصبر على ترك الشهوات أياما قلائل وهذا نهاية الكرم فلا تحدث نفسك بتهويسات البطالين واقتد بأولى العزم والنهى من الأنبياء والصالحين ولا تطمع فى أن تحصد مالم تزرع وليت من صام وصلى وجاهد واتقى غفرله، فهذه جملة ماينبغى أن تحفظ عنه جوارحك الظاهرة، وأعمال هذه الجوارح أنما تترشح من صفات القلب فأن أردت حفظ الجوارح فعليك بتطهير القلب وهو التقوى الباطن والقلب هو المضغة التى أذا صلحت صلح لها الجسد كله فاشتغل بصلاحه لتصلح به جوارحك «القول فى معاصى القلب» أعلم أن الصفات المذمومة فى القلب كثيرة وتطهير القلب من رذائلها طويل وسبيل العلاج فيها غامض وقد اندرس بالكلية علمه وعمله لغفلة الخلق عن أنفسهم واشتغالهم بزخارف الدنيا وقد استقصينا ذلك كله فى كتاب إحياء علوم الدين فى ربع المهلكات أو ربع المنجيات، ولكننا نحذرك الآن ثلاثا من خبائث القلب هى الغالبة على متفقهة العصر لتأخذ منها حذرك فأنها مهلكات فى أنفسها وهى أمهات لجملة من الخبائث سواها وهى الحسد والرياء والعجب فاجتهد فى تطهير

---

(١) ٣٩ ك النجم ٥٣.

(٢) ٣٩ ك الصافات ٣٧.

(٣) ١٤ ك الأنتطار ٨٢.

قلبك منها فإن قدرت عليها فتعلم كيفية الحذر من بقيتها من ربع المهلكات فإن عجزت عن هذا فأنت عن غيره أعجز ولاتظنن أنك تسلم بنية صالحة فى تعلم العلم وفى قلبك شئ من الحسد والرياء والعجب وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثَلاَثٌ مَهْلِكَاتٌ شُحٌّ مُطاعٌ وَهَوىً متّبعٌ وَإعْجابُ المرءِ بِنَفْسِهِ»[1] «أما الحسد» فهو متشعب من الشح فان البخيل هو الذى يبخل بما فى يده على غيره والشحيح هو الذى يبخل بنعمة الله وهى فى خزائن قدرته لافى خزائنه على عباد الله تعالى فشحه أعظم. والحسود هوالذى يشق عليه أنعام الله تعالى من خزائن قدرته على عبد من عباده بعلم أو مال أو محبة فى قلوب الناس أو حظ من الحظوظ حتى أنه ليحب زوالها عنه وأن لم يحصل له من ذلك مصلحة وهذا منتهى الخبث فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْحَسَدُ يَأكلُ الْحَسَنَاتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ»[2] والحسود هو المعذب الذى لا يرحم ولا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا، فأن الدنيا لاتخلو قط عن خلق كثير من أقرانه ومعارفه ممن أنعم الله عليهم بعلم أو مال أو جاه فلا يزال فى عذاب دائم فى الدنيا إلى موته ولعذاب الآخرة أشد وأكبر بل لايصل العبد إلى حقيقة الإيمان مالم يحب لسائر المسلمين مايحب لنفسه بل ينبغى أن يساويهم فى السراء والضراء فالمسلمون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد أذا شكا منه عضو اشتكى سائر الجسد فأن كنت لاتصادف هذا من قلبك فاشتغالك بطلب التخلص من الهلاك أهم من اشتغالك بنوادر الفروع وعلم الخصومات. وأما الرياء فهو الشرك الخفى وهو أحد الشركين وذلك طلبك منزلة فى قلوب الخلق لتنال بها الجاه والحشمة وحب الجاه من الهوى المتبع وفيه هلك أكثر الناس فما أهلك الناس إلا الناس فلو أنصف الناس حقيقة لعلموا أن أكثر ماهم فيه من العلوم والعبادات فضلا عن أعمال العادات ليس يحملهم عليها إلا مراءاة الناس، وهى محبطة للأعمال كما ورد فى الخبر أن الشهيد يؤمر به يوم القيامة إلى النار يارب استشهدت فى سبيك فيقول الله تعالى أردت أن يقال فلان شجاع وقد قيـ

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة.

وذلك أجرك. كذا يقال للعالم والحاج والقارئ. وأما العجب والكبر والفخر فهو الداء العضال وهو نظر العبد إلى نفسه بعين العزة والاستعظام وإلى غيره بعين الاحتقار ونتيجته على اللسان أن يقول أنا وأنا كما قال ابليس اللعين أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين وثمرته فى المجالس الترفع والتقدم وطلب التصدر فى المحاورة والاستنكاف من أن يرد كلامه عليه. والمتكبر هو الذى ان وعظ أنف أو وعظ عنف وكل من رأى نفسه خيرا من أحد من خلق الله تعالى فهو متكبر، بل ينبغى لك أن تعلم أن الخير من هو خير عند الله فى دار الآخرة، وذلك غيب وهو موقوف على خاتمة فاعتقادك فى نفسك أنك خير من غيرك جهل محض، بل ينبغى أن لا تنظر إلى أحد إلا وترى أنه خير منك وأن الفضل له على نفسك فإن رأيت صغيرا قلت هذا لم يعص الله وأنا عصيته فلا شك أنه خير منى وإن رأيت كبيراً قلت هذا قد عبد الله قبلى فلا شك أنه خير منى وإن كان عالما. قلت هذا قد أعطى مالم أعط وبلغ مالم أبلغ وعلم ماجهلت فكيف أكون مثله وإن كان جاهلا قلت هذا عصى الله بجهل وأنا عصيته بعلم فحجة الله على آكدوما أدرى بم يختم لى وبما يختم له وإن كان كافرا قلت لا أدرى عسى أن يسلم ويختم له بخير العمل وينسل بإسلامه من الذنوب كما تنسل الشعرة من العجين وأما أنا والعياذ بالله فعسى أن يضلنى الله فأكفر فيختم لى بشر العمل فيكون هو من المقربين وأنا أكون من المعذبين فلا يخرج الكبر من قلبك إلا بأن تعرف أن الكبير من هو كبير عند الله تعالى وذلك موقوف على الخاتمة وهى مشكوك فيها فيشغلك خوف الخاتمة عن أن تتكبر مع الشك فيها على عباد الله تعالى فيقينك وإيمانك فى الحال لا يناقض تجويزك التغير فى الاستقبال فان الله مقلب القلوب يهدى من يشاء والأخبار فى الحسد والكبر والرياء والعجب كثيرة ويكفيك فيها حديث واحد جامع، فقد روى ابن المبارك باسناده عن رجل أنه قال لمعاذ يامعاذ حدثنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبكى معاذ حتى ظننت أنه لايسكت ثم سكت ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لى «يا مُعاذُ إنى مُحَدِّثُكَ بحديثٍ إن أنتَ حَفِظتَهُ نفَعَكَ عندَ الله وإن أنتَ ضَيَّعْتَهُ ولمْ تَحفَظْهُ أنقَطَعتْ حُجَّتُكَ عند الله يومَ القيامةِ يامُعاذُ أنَّ اللهَ تباركَ وتعالى خلقَ سَبعةَ أملاكٍ قبل أن يَخْلُقَ السمواتِ

والأرضَ فجعلِ لكل سماءِ منَ السَّبع مَلكا بَوَّاباً عليها فتَصعدُ الحفظةُ بِعَمل العبدِ من حين أصبَح إلى حين أمْسى له نورٌ كنورِ الشَّمسِ حتى اذا طلعتْ بهِ إلى السماءِ الدُّنيا زكّتْهُ فكثَّرته فيقولُ الملك للحفظة اضربُوا بهذا العملِ وَجْهَ صاحبهِ أنا صاحبُ الغيبةِ أمرنى ربِّى أن لا أدَعَ عملَ من اعتابَ النَّاسَ يُجاوزُونى إلى غيرى قال ثم تأتى الحفَظَةُ بعملٍ صالحٍ من أعمال العبد فتزكيه وتكثرُه حتى تَبْلغَ إلى السماءِ الثانيةِ فيقول لهم الملكُ الموكّلُ بها قِفوا واضربوا بهذا العمل وجهَ صَاحِبِه إنه أراد بعمله عَرَضَ الدنيا أمرَنى ربى أن لا أدعَ عمله يجاوزنى إلى غيرى إنه كانَ يفتخرُ على الناسِ فى مجالِسِهم أنا ملَكُ الفخرِ قال وتصعد الحفظةُ بعملِ العبد يَبْتهجُ نوراً مِن صدقةٍ وصلاة وصيام وقد أعجب لحفظةَ فيُجاوِزونَ بهِ إلى السماءِ الثالثةِ فيقول لهم الملَكُ الموكّلُ قفوا وَاضر بوا بهذا العملِ وجهَ صاحبهِ أنا ملَكُ الكبرِ أمرَنى ربِّى أن لا أدعَ عمله يُجاوِزُنى إلى غيرى أنه كان يتكبَّر على الناس فى مجالسهم.قال وتَصْعَدُ الحفظة بعلم العبد يَزهُو كماَ يَزهُو الكَوكَبُ الدرى له دوَىَ من تسبيحٍ وصلاةٍ وصيامٍ وحَجّ وعُمرةٌ حتى يُجاوَزوا به إلى السماءِ. الرابعةِ فيقول لهم الملَكُ الموكّل بها قِفوا وَضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبه وظَهرَهَ وبطنَه أنا صاحبُ العُجب أمرنى ربى أن لا أدعَ عملَه يُجاوِزُنى إلى غيرى إنه كاَنَ اذا عَملَ عملاً أدخَل العُجبَ فيه قال وتصعَدُ الحفَظَةُ بعملِ العبدِ حتى يُجاوِزُوا به إلى السماءِ. الخامسةِ كأنه العَروسُ المزفوفة إلى بعلها فيقولُ لهم الملَكُ الموكَّلُ بها قِفوا واضربوا بهذا العملِ وجهَ صاحبه واحملوه على عاتقه أنا ملَكُ الحسد أنه كان يَحسُدُ من يتعلَّمُ ويعمَلُ بمثلِ عمله وكلُ من كان يأخُذ فضلا من العبادة كان يحسدهم ويقعُ فيهم أمرَنى ربى أن لا أدعَ عمله يُجاوِزُنى إلى غَيرى قال وتصعَدُ الحفظةُ بعملِ العبد له ضَوءُ كضوْءِ القمر من صلاةٍ وزكاةٍ وحَج وعمرة وجهاد وصِيام فيجاوِزُون به إلى السماءِ. السادسة فيقولُ لَهم الملكُ الموكَّلُ بها قِفوا واضربُوا بهذا العملِ وَجهَ صاحبه انَّهُ كاَن لايَرحَمُ إنساناً قَطُّ من عبادِ الله أصابه بلاءُ أو مَرضُ بَل كان يَشْمتُ به أنا ملك الرحمةِ أمرنى ربى أن لا أدَعَ عملَه يُجاوِزُنى إلى غيرى قال وتصعَدُ الحفَظَة بعمل العبدِ من صلاة وصيام ونفقة وجهادٍ ووَرعٍ له دوِيّ كدوى النحلِ وضوءُ كضوءِ الشمس معه ثلاثةُ آلافِ ملك فيُجاوِزُن بهِ إلى السماءِ السابعةِ فيقولُ لهم الملك الموكَّلُ بها قِفوا واضرِبُوا

بهذا العمل وجهَ صاحبِه واضربُوا جوارِحَه وأقفلوا به على قلبه أنا صاحب الذكر فانى أحجُبُ عن ربى كلَّ عملٍ لم يُرَدْ به وجه ربى انما أراد بعمله غير الله تعالى إنه أراد به رفعَةً عند الفقهاءِ وذِكرا عند العُلماء وصيتا فى المدائن أمرنى ربى لا أدعَ عمله يُجاوِزنى إلى غيرى وكلُّ عملَ لم يكن لله خالصا فهو رياءٌ قال وتصعدُ الحفظةُ بعمل العبدِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحج وعُمرة ولا يقبَلُ اللهُ عَمَلَ المرائى وخلُقُ حسن وصَمت وذِكر الله تعالى وتُشَيِّعُه ملائكة السَّبع السَّموات حتى يقطعوا الحجُبَ كلها إلى الله تعالى فيقفونَ بينَ يديْه يشهدُون له بالعملِ الصالحِ المخلَصِ للهِ تعالى فيقولُ اللهُ تعالى أنْتمُ الحفَظَةُ عَلى عَمَلِ عَبْدى وَأنا الرَّقيبُ عَلى قَلْبه إنَّهُ لَمْ يُودْنى بهذاَ العَمَلِ وَأرادَبه غَيْرِى فَعَلَيْه لعْنَتى فَتَقُولُ الملائكَةُ كلُّها عَلَيْهَ لعْنتُكَ ولَعْنَتُنا وَتَلعَنُهُ السَّبْعُ السَّمٰوَاتُ وَمَنْ فيهنَّ فبكَى مُعاذٌ قَالَ معاذٌ قُلتُ يَارَسُولَ الله أَنْتَ رَسُولُ الله وَأنَامُعاذٌ فَكَيْفَ لِى بالخلاصِ وَالنجاة قالَ أقْتَدِ بِى وَإنْ كانَ فى عَمَلكَ نَقْصٌ يَامُعَاذُ حَافِظْ عَلى لسَانكَ منَ الوَقيعَة فى إخْوَانكَ منْ حَمَلَة القُرآنِ وَحْملْ ذُنُوبُكَ عَلَيْكَ ولا تحملها عليهم ولاَ تُزَكِّ نَفْسَكَ عَلَيهم وَتَذَمَّهُمْ وَلاَ تَرفعْ نَفْسَكَ عَلَيهمْ وَلاَ تُدْخلْ عَمَلَ الدُّنْيَا فى عَمَلِ الآخرَةِ وَلاَ تَتَكَبَّرفى مجْلسكَ لكَىْ يَحْذَرَ النَّاسُ منْ خُلُقكَ وَلاَ تُنَاجِ رَجُلاً وَعِنْدَكَ آخَرُ وَلاَ تَتَعَظَّمْ عَلى النَّاسِ فَتَنقَطعَ عَنْكَ خَيْرَاتُ الدُّنْيَا وَالآخرَةِ وَلاَ تُمَزِّقِ النَّاسَ فَتُمَزِّقَكَ كلاَبُ النَّارِ يَوْمَ القيامَةِ فى النَّارِ قَالَ اللهُ تَعَالى «وَالنَّاشطَات نَشْطًا» هَلْ تَدْرِى مَا هُنَّ يَامُعَاذُ قُلتُ مَاهىَ بأبى أنْتَ وَأمِّى يَارَسُولَ الله قَالَ كلاَبٌ فى النَّارِ تَنْشطُ اللَّحْمَ منَ العَظْمِ قُلتُ بأبى أنْتَ وَأمِّى يَارَسُولَ الله مَنْ يُطيقُ هَذه الخصَالَ وَمَنْ يَنْجُو منهَا قَالَ يَامُعَاذُ إنَّهُ لَيَسيرُ عَلى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْه» قال خالد بن معدان فما رأيت أحداً أكثر تلاوة للقرآن العظيم من معاذ لهذا الحديث العظيم فتأمل أيها الراغب فى العلم هذه الخصال واعلم أن أعظم الأسباب فى رسوخ هذه الخبائث فى القلب طلب العلم لأجل المباهاة والمناقشة فالعامى بمعزل عن أكثر هذه الخصال والمتفقه مستهدف لها وهو معرض للهلاك بسببها فانُظر أى أمورك أهم أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات وتشتغل باصلاح قلبك وعمارة آخرتك أم الأهم أن تخوض مع الخائضين فتطلب من العلم ماهو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين واعلم أن هذه الخصال

الثلاث من أمهات خبائث القلب ولها مغرس واحد وهو حب الدنيا ولذلك قال رسول الله صلىالله عليه وسلم «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»[1] ومع هذا فالدنيا مزرعة للآخرة فمن أخذ من الدنيا بقدر الضرورة يستعين به على الآخرة فالدنيا مزرعته ومن أراد الدنيا ليتنعم بها فالدنيا مهلكته فهذه نبذة يسيرة من ظاهر علم التقوى وهى بداية الهداية فأن جربت نفسك فيها وطاوعتك عليها فعليك بكتاب إحياء علوم الدين لتعرف كيفية الوصول إلى باطن التقوى فأذا عمرت بالتقوى باطن قلبك فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك وتنكشف لك أنوار المعارف وتنفجر الحكمة وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة التى لم يكن لها ذكرفى زمن الصحابة رضى الله عنهم والتابعين. وإن كنت تطلب العلم من القيل والقال والمراء والجدال فما أعظم مصيبتك وما أطول تعبك وأعظم حرمانك وخسرانك فعمل ماشئت فأن الدنيا التى تطلبها بالدين لاتسلم لك والآخرة تسلب منك، ومن طلب الدنيا بالدين خسرهما جميعا ومن ترك الدنيا للدين ربحهما جميعا. فهذه جمل الهداية إلى بداية الطريق فى معاملتك مع الله تعالى بأداء أوامره واجتناب نواهيه. وأشير عليك الآن بجمل من الآداب لتؤاخذ بها نفسك فى مخالطتك مع عباد الله تعالى وصحبتك معهم فى الدنيا

«القول فى آداب الصحبة والمعاشرة مع الخالق سبحانه وتعالى ومع الخلق»

أعلم أن صاحبك الذى لا يفارقك فى حضرك وسفرك بل فى حياتك وموتك وهو ربك وسيدك ومولاك وخالقك ومهما ذكرته فهو جليسك إذ قال الله تعالى «أنَا جلِيسُ مَنْ ذكَرَنى»[2] ومهما انكسر قلبك حزنا على تقصيرك فى حق دينك فهو صاحبك وملازمك إذ قال الله تعالى «أنا عندَ المنكسرةِ قلوبُهم مِنْ أجْلى» فلو عرفته حق معرفته لاتخذته صاحبا وتركت الناس جانبا فإن لم تقدر على ذلك فى جميع أوقاتك

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) مفتاح كنوز السنة

فأياك أن تخلى ليلك ونهارك عن وقت تخلو فيه لمولاك وتتلذذ معه بمناجاتك وعند ذلك فعليك أن تتعلم آداب الصحبة مع الله تعالى «وآدابها» أطراق الرأس وغض الطرف وجمع الهم ودوام الصمت وسكون الجوارح ومبادرة الأمر واجتناب النهى وقلة الأعتراض على القدر ودوام الذكر وملازمة الفكر وإيثار الحق على الباطل والاياس عن الخلق والخضوع تحت الهيبة والإنكسار تحت الحياء والكسب ثقة بالضمان والتوكل على فضل الله معرفة بحسن الاختيار.وهذا كله ينبغى أن يكون شعارك فى جميع ليلك ونهارك فأن آداب الصحبة مع صاحب لايفارقونك والخلق يفارقونك فى بعض أوقاتك.

إن كنت عالماً فآداب العلم سبعة عشر: الاحتمال ولزوم الحلم والجلوس بالهيبة على سمت الوقار مع اطراق الرأس وترك الكبر على جميع العباد إلا على الظلمة زجراً لهم عن الظلم وإيثار التواضع فى المحافل والمجالس وترك الهزل والدعابة والرفق بالمتعلم والتأنى بالمتعجرف وإصلاح البليد بحسن الارشاد وترك الحرد عليه وترك الأنفة من قول لاأدرى وصرف الهمة إلى السائل وتفهم سؤاله وقبول الحجة والانقياد للحق بالرجوع إليه عن الهفوة ومنع المتعلم كل علم يضره وزجره عن أن يريد بالعلم النافع غير وجه الله تعالى وصد المتعلم عن أن يشغل نفسه بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين وفرض عينه إصلاح ظاهره وباطنه بالتقوى ومؤاخذة نفسه أولا بالتقوى ليقتدى المتعلم أولا بأعماله ويستفيد ثانيا من أقواله.وأن كنت متعلما فآداب المتعلم مع العالم أن يبدأه بالتحية والسلام وأن يقل بين يديه الكلام ولا يتكلم مالم يسأله أستاذه ولا يسأل أولا مالم يستأذن ولايقول فى معارضة قوله قال فلان بخلاف ماقلت ولايشير عليه بخلاف رأيه فيرى أنه أعلم بالصواب من أستاذه ولايشاور جليسه فى مجلسه ولا يلتفت إلى الجوانب بل يجلس مطرقا ساكنا متأدبا كأنه فى الصلاة ولا يكثر عليه عند ملله وإذا قام قام له ولا يتعبه بكلامه وسؤاله ولايسأله فى طريقه إلى أن يبلغ إلى منزله ولا يسئ الظن به فى أفعال ظاهرها منكر عنده فهو أعلم بأسراره وليذكر عند ذلك قول موسى للخضر عليهما السلام أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمراو كونه مخطئا فى إنكاره اعتماداً على ظاهرة. وإن كان لك والدان فأدب الولد مع الوالدين أن يسمع كلامهما ويقوم لقيامهما ويمتثل أمرهما ولا يمشى أمامهما ولا يرفع صوته فوق

أصواتهما ويلبي دعوتهما ويحرص على مرضاتهما ويخفض لهما الجناح ولايمن عليهما يالبر لهما ولا بالقيام بأمرهما ولا ينظر إليهما شزراً ولا يقطب وجهه في وجوههما ولا يسافر إلا ياذنهما، واعلم أن الناس بعد هؤلاء في حقك ثلاثة أضعاف إما أصدقاء وإما معاريف وإما مجاهيل فإن بليت بالعوام المجهولين فأداب مجالسة العامة ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عمايجرى من سوء الفاظهم والاحتراز عن كثرة لقائهم والحاجة إليهم والتنبيه على منكراتهم باللطف والنصح عند رجاء القبول منهم وأما الاخوان والأصدقاء فعليك فيهم وظيفتان «احداهما» أن تطلب أولا شروط الصحبة والصداقة فلا تؤاخ إلا من يصلح للأخوة والصداقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الْمرْء عَلَى دِينِ خَلِيلِه فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ» فأذا طلبت رفيقا ليكون شريكك في التعلم وصاحبك في أمر دينك ودنياك فراع فيه خمس خصال: الأولى العقل فلا خير في صحبة الأحمق فإلى الوحشة والقطيعة يرجع آخرها وأحسن أحواله أن يضرك وهو يريد أن ينفعك والعدو العاقل خير من الصديق الأحمق. قال على رضى الله عنه: فلا تصحب أخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل أردى حليما حين وأخاه يقاس المرء بالمرء اذا ما المرء ماشاه كجذو النعل بالنعل اذا ما النعل حاذاه ،للشئ من الشئ، مقاييس واشباه وللقلب على القلب دليل حين يلقاه الثانية حسن الخلق فلا تصحب من ساء خلقه وهو الذى لا يملك نفسه عند الغضب والشهوة وقد جمعه علقمة العطاردى رحمه الله تعالى في وصيته لابنه لما حضرته الوفاة فقال: يابنى اذا أردت صحبة انسان فاصحب من أذا خدمته صانك وإن صحبته زانك وإن قعدت بك مؤنة مانك. اصحب من أذا مددت يدك بخير مدها وإن رأى منك حسنة عدها. وإن رأى منك سيئة سدها. اصحب من أذا قلت صدق قولك واذا حاولت أمرا أعانك ونصرك وإن تنازعتما في شئ آثرك، وقال على رضى الله عنه رجزا: إن أخاك الحق من كان معك، ت فيك شمله ليجمعك، الثالث الصلاح فلا تصحب٦٤ومن اذا ريب الزمان صدعك، شئ فاسقا مصراً على معصية كبيرة لأن من يخاف الله لايصر على معصية كبيرة ومن لايخاف الله لا تؤمن غوائله بل يتغير بتغير الاعراض والأحوال قال الله تعالى لنبيه

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

صلى الله عليه وسلم «وَلاَ تطعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ»[1] فاحذر صحبة الفاسق فأن مشاهدة الفسق والمعصية على الدوام تزيل عن قلبك كراهية المعصية وتهون عليك أمرها ولذلك هان على القلوب معصية الغيبة لا لفهم لها ولو رأوا خاتما من ذهب أو ملبوسا من حرير على فقيه لاشتد إنكارهم عليه والغيبة أشد من ذلك، الرابعة ألا يكون حريصا على الدنيا فصحبة الحريص على الدنيا سم قاتل لأن الطباع مجبولة على التشبه والإقتداء بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدرى فمجالسة الحريص تزيد فى حرصك ومجالسة الزاهد تزيد من زهدك، الخامسة الصدق فلا تصحب كذابا فأنك منه على غرور فأنه مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد منك القريب ولعلك تعدم اجتماع هذه الخصال فى سكان المدارس والمساجد فعليك بأحد الأمرين إما العزلة والأنفراد فإن فيها سلامتك وإما أن تكون مخالطتك مع شركائك بقدر خصالهم بأن تعلم إن الأخوة ثلاثة: أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين وأخ لدنياك فلا تراع فيه إلا الخلق الحسن وأخ تستأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره وفتنته وخبثه. والناس ثلاثة: أحدهم مثله مثل الغذاء لا يستغنى عنه، والآخر مثله مثل الدواء يحتاج إليه فى وقت دون وقت، والآخر مثله مثل الداء لا يحتاج العبد قد يبتلى به وهو الذى لا أنس فيه ولا نفع فتجب مداراته إلى الخلاص منه وفى مشاهدته فائدة عظيمة إن وفقت لها وهو أن تشاهد من خبائث أحواله وأفعاله ما تستقبحه فتجتنبه فالسعيد من وعظ بغيره والمؤمن مرآة المؤمن وقيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال ما أدبنى أحد ولكن رأيت جهل الجاهل فاجتنبته ولقد صدق صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم فلو اجتنب الناس مايكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن المؤدبين «الوظيفة الثانية حقوق الصحبة» فمهما انعقدت الشركة وانتظمت بينك وبين شريكك الصحبة فعليك حقوق يوجبها عقد الصحبة وفى القيام بها آداب وقد قال صلى الله عليه وسلم «مَثَلُ الأَخَوَيْنِ مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَهُمَا الأُخْرَى»[2] ودخل صلى الله عليه وسلم

---

(١) مفتاح كنوز السنة.

(٢) ورد فى صحيح مسلم والبخارى.

أجمه فاجتنى منها سواكين أحدهما معوج والآخر مستقيم وكان معه بعض أصحابه فأعطاه المستقيم وأمسك لنفسه المعوج فقال يارسول الله انك أحق منى بالمستقيم فقال صلى الله عليه وسلم «مَا مِنْ صَاحِبٍ يَصْحَبُ صَاحِباً وَلَوْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ إِلاَّ سُئِلَ عَنْ صُحْبَتِهِ هَلْ أَقَامَ فِيهاَ حَقَّ اللهِ تَعَالَى أَوْ أَضَاعَهُ»[١] وقَالَ صلى الله عليه وسلم «مَا أصْطَحَبَ أثْنَانِ قَطُّ إِلاَّ وَكَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْفَقَهُمَا بِصَاحِبِهِ»[٢] وآداب الصحبة إلا. يثار بالمال فإن لم يكن هذا فبذل الفضل من المال عند الحاجة والإعانة بالنفس فى الحاجات على سبيل المبادرة من غير احواج إلى التماس وكتمان السر وستر العيوب والسكوت عن تبليغ مايسوء من مذمة الناس أياه وأبلاغ مايسره من ثناء الناس عليه وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المماراة فيه وأن يدعوه بأحد أسمائه إليه وأن يثنى عليه بما يعرف من محاسنه وأن يشكوه على صنيعه فى وجهه وأن يذب عنه فى غيبته أذا تعرض لعرضه كما يذب عن نفسه وأن ينصحه باللطف والتعويض أذا احتاج إليه وأن يعفو عن زلته وهفوته فلا يعتب عليه وأن يدعو له فى خلوته فى حياته وبعد مماته وأن يحسن الوفاء مع أهله وأقاربه بعد موته وأن يؤثر التخفيف عنه فلا يكلفه شيئا من حاجته ويروح قلبه من مهماته وأن يظهر الفرح بجميع مايحتاج له من مسارة والحزن بما يناله من مكارهه وأن يضمر مثل مايظهره فيكون صادقا فى وده سرا وعلانية ويبدأه بالسلام عند اقباله وأن يوسع له فى المجلس ويخرج له من مكانه وأن يشيعه عند قيامه وأن يصمت عند كلامه وعلى الجملة فيعامله بما يجب أن يعامل به فمن لايحب لأخيه مثل مايحب لنفسه فأخوته نفاق وهى عليه فى الدنيا والآخرة وبال فهذا أدبك فى حق العوام المجهولين وفى حق الأصدقاء المؤاخين وأما القسم الثالث وهم المعارف فاحذر منهم فأنك لاترى الشر إلامما تعرفه أما الصديق فيعينك وأما المجهول فلا يتعرض لك وإنما السر كله من المعارف الذين يظهرون الصداقة بألسنتهم فأقلل من المعارف ماقدرت فاذا بليت بهم فى مدرسة أو جامع أو مسجد أو بلد أو سوق فيجب أن لاتستحقر منهم أحداً فأنك لاتدرى لعله خير منك ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم فى

---

(١) ورد فى سنن ابن ماجه.

(٢) ورد فى سنن ابن ماجه.

حال دنياهم فتهلك لأن الدنيا صغيرة عند الله صغير مافيها ومهما، عظم أهل الدنيا في قلبك فقد سقطت من عين الله تعالى واياك أن تبذل لهم دينك لتنال به دنياهم فلم يفعل ذلك من أحد الأصغر في أعينهم ثم حرم ماعندهم وإن عادوك فلا تقابلهم بالعداوة فأنك لاتطيق الصبر على مكافأتها فيذهب دينك في عداوتهم فيطول عناؤك معهم ولا تسكن إليهم في حال اكرامهم أياك وثنائهم عليك في وجهك وأظهارهم المودة لك فأنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المائة واحداً ولا تطمع أن يكونوا لك في العلن والسر واحداً ولاتتعجب ان ثلبك وفي غيبتك ولا تغضب منه فأنك إن أنصفت وجدت نفسك مثل ذلك حتى في أصدقائك وأقاربك بل في أستاذك ووالديك فأنك تذكرهم في الغيبة بما لاتشافههم به فاقطع طمعك عن مالهم وجاههم ومعونتهم فأن الطامع في الأكثر خائب في المآل وهو ذليل لامحالة في الحال فاذا سألت واحدا حاجة فقضاها فاشكر الله تعالى واشكره، وإن قصر فلا تعاتبه ولا تشكه فتصير عداوة وكن كالمؤمن يطلب المعاذير ولاتكن كالمنافق يطلب العيوب وقل لعله قصر لعذر له لم أطلع عليه ولا تعظن أحداً منهم مالم تتوسم فيه أولا مخايل القبول وإلا لم يستمع منك وصار خصما عليك فاذا أخطأوا في مسألة وكانوا يأنفون من التعليم من كل أحد فلا تعلمهم فانهم يستفيدون منك علما ويصبحون لك أعداء إلا اذا تعلق ذلك بمعصية يقارفونها عن جهل منهم فاذكر الحق بلطف من غير غنف وأذا رأيت منهم كرامة وخيراً فاشكر الله الذى حببك إليهم واذا رأيت منهم شراً فكلهم إلى الله تعالى واستعذ بالله من شرهم ولاتعاتبهم ولا تقل لهم لم لم تعرفوا حقى وأنا فلان بن فلان وأنا الفاضل في العلوم فأن ذلك من كلام الحمقى وأشد الناس حماقة من يزكى نفسه ويثنى عليها واعلم أن الله تعالى لا يسلطهم عليك إلا لذنب سبق منك فاستغفرالله من ذنبك واعلم أن ذلك عقوبة من الله تعالى لك وكن فيما بينهم سميعا لحقهم أصم عن باطلهم نطوقا بمحاسنهم صموتا عن مساويهم وأحذر مخالطة متفقهة الزمان لا سيما المشتغلين بالخلاف والجدال واحذر منهم فانهم يتربصون بك لحسدهم ريب المنون ويقطعون عليك بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون يحصون عليك عثراتك في عشرتهم حتى يجبهوك بها في حال غيظهم ومناظراتهم لايقيلون لك عثرة ولا يغفرون لك زلة ولا يسترون عليك

عورة يحاسبونك على النقرة والقطمير ويحسدونك على القليل والكثير ويحرضون عليك الأخوان بالنميمة والبلاغات والبهتان إن رضوا فظاهرهم الملق وإن سخطوا فباطنهم الحمق ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب. هذا حكم ماقطعت به المشاهدة على أكثرهم إلا من عصمه الله تعالى. فصحبتهم خسران ومعاشرتهم خذلان. هذا حكم من يظهر لك الصداقة فكيف من يجاهرك بالعداوة. قال القاضي ابن معروف رحمه الله: فاحذر عدوك مرة. واحذر صديقك ألف مرة.

فلربما انقلب الصديق فكان أعرف بالمضره وكذلك قيل فى المعنى: عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثر من الصحاب فأن الداء أكثر ماتراه يكون من الطعام أو الشراب وكن كما قال هلال بن العلاء:

لما عفوت ولم أحقد على أحد أرحت نفسى من هم العداوات إنى أحيى عدوى عند رؤيته لأدفع الشر عنى بالتحيات وأظهر البشر للأنسان أبغضه كأنه قد ملا قلبى مسرات ولست أسلم ممن لست أعرفه فكيف أسلم من أهل المودات الناس داء دراء المحض تركهم وفى الجفاء لهم قطع الأخوات فسالم الناس تسلم من غوائلهم وكن حريصا على كسب المودات وخالق الناس واصبر مابليت بهم أصم أبكم أعمى ذاتقيات وكن أيضا كما قال بعض الحكماء: الق صديقك وعدوك بوجه الرضا من غير مذلة ولا هيبة منهما، وتوقر من غير كبر، وتواضع من غير مذلة، وكن فى جميع أمورك فى أوسطها فكلا طرفى الأمور ذميم كمّا قيل: عليك بأوساط الأمور فأنها طريق إلى نهج الصراط قويم ولاتك فيهما مفرطا أو مفرطا فأن كلا حال الأمور ذميم ولا تنظر فى عطفيك ولا تكثر الالتفات ولا تقف على الجماعات واذا جلست فلا تستوفز وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك وتخليل أسنانك وادخال إصبعك فى أنفك وكثرة بصاقك وتنخمك وطرد الذباب عن ،جهك وكثرة التمطى والتثاؤب فى وجوه الناس وفى الصلاة وغيرها. وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا واصغ إلى الكلام الحسن ممن حدثك من غير اظهار تعجب مفرط ولا تسأله إعادته واسكت عن المضاحك والحكايات ولا تحدث عن إعجابك بولدك وشعرك وكلامك وتصنيفك وسائر ما سخصك ولا تتصنع تصنع المرأة فى التزين ولاتتبذل تبذل العبد وتوق كثيرة الكحل والإسراف

فى الدهن ولا تلح فى الحاجات ولا تشجع أحداً على ظلم ولا تعلم أحدا من أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك فأنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم وإن رأوه كثيرا لم تبلغ قط رضاهم، واجفهم من غير عنف ولن لهم من غير ضعف ولاتهازل أمتك ولاعبدك فيسقط وقارك واذا خاصمت فتوقر وتحفظ من جهلك وعجلتك وتفكر فى حجتك، ولا تكثر الإشارة بيدك ولاتكثر الإلتفات إلى ورائك ولا تجث على ركبتيك واذا هدأ غضبك فتكلم، واذا قربك السلطان فكن على حد السنان وأياك وصديق العافية فإنه أعدى الأعداء لا تجعل مالك أكرم من عرضك. وهذا القدر يافتى يكفيك من بداية الهداية فجرب بها نفسك فأنها ثلاثة أقسام: قسم آداب الطاعات وقسم فى ترك المعاصى وقسم فى مخالطة الخلق وهى جامعة جميع معاملة العبد مع الخالق والخلق فإن رأيتها مناسبة لنفسك ورأيت قلبك مائلا إليها راغباً فى العمل بها فأعلم أنك عبد نور الله قلبك بالإيمان وشرح به صدرك، وتحقق أن لهذه البداية نهاية ووراءها أسرار رأغوارا وعلوما ومكاشفات وقد أودعناها فى كتاب إحياء علوم الدين فاشتغل بتحصيله فإن رأيت نفسك تستقل العمل بهذه الوظائف وتترك هذا الفن من العلم وتقول لك نفسك أنى ينفعك هذا الفن فى محافل العلماء ومتى يقدمك هذا على الاقران والنظراء، وكيف يرفع منصبك فى مجالس الأمراء والوزراء ليوصلك إلى الصلة والأرزاق وولاية الأوقاف والقضاء فاعلم أن الشيطان قد أغواك وأنساك منقلبك ومثواك فاطلب لك شيطانا مثلك ليعلمك ما تظن أنه ينفعك ويوصلك إلى بغيتك، ثم اعلم انه قط لايصفو لك الملك فى محلتك فضلا عن قريتك وبلدك ثم يفوتك الملك المقيم والنعيم الدائم فى جوار رب العالمين. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

---

(١) هذا أخر ما وجد من المخطوطة والمطبوع.

المصادر والمراجع

١- الأسانيد

١- القرآن الكريم	
٢- سنن الترمذى	بيروت ١٩٨٤م
٣- سنن الدارقطنى	بيروت ١٩٨٠م
٤- سنن ابن ماجة	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م
٥- سنن النسائى	بيروت ١٩٨٥م
٦- صحيح البخارى	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م
٧- صحيح مسلم	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى الحلبى ـ القاهرة ١٩٥٢م
٨- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث	ڤنسيك طبعة مصورة ـ تركيا ـ ١٩٤٥م
٩- المعجم المفهرس لالفاظ القرآن	تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٥م

٢- المصادر والمراجع المطبوعة

١- أسد الغابة فى معرفة الصحابة — لابن الأثير
دار الشعب ـ القاهرة ١٩٧٠م ـ ١٩٧٤م

٢- الإصابة فى أسماء الصحابة — لابن حجر العسقلانى
تحقيق على محمد البجاوى
نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٧٨م

٣- البداية والنهاية — لابن كثير القرشى
القاهرة ١٣٤٨هـ

٤- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع — للشوكانى
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٤٧هـ

٥- تاج التراجم — لابن قطوبغا
بغداد ـ العراق ١٩٦٢م

٦- تاريخ الإسلام — للذهبى
دار صادر ـ بيروت ١٩٨٥م ـ ١٩٨٨م

٧- تاريخ بغداد — للخطيب البغدادى
الخانجى ـ القاهرة ١٣٤٩هـ

٨- تاريخ مكة — للازرقى
بيروت ـ ١٩٨٥م

٩- تاريخ مكة والمدينة — للعاقولى
تحقيق الدكتور محمد زينهم محمد
مدبولى ـ القاهرة ١٩٨٩م

١٠- تبصير المنتبة — لابن حجر العسقلانى
تحقيق على محمد البجاوى
القاهرة ١٩٦٦م

١١- تبيين كذب المفترى — لابن عساكر
نشره القدسى ـ دمشق ١٩٢٧م

١٢- تذكرة الحفاظ — للذهبى
تصحيح عبد الرحمن بن يحيى المعلمى
حيدرآباد الهند ١٣٧٤هـ

١٣- تهذيب الأسماء واللغات — للنواوى
مطبعة المنيرة ـ القاهرة

١٤- تهذيب التهذيب — لابن حجر العسقلانى
حيدرآباد الهند ١٣٤٤هـ

١٥- الجامع الصغير — للسيوطى
طبع دار الكتب العربية الكبرى القاهرة ـ ١٣٣٠هـ

١٦- الجامع الكبير — للسيوطى
طبع دار الكتب العربية الكبرى القاهرة ـ ١٣٣٠هـ

١٧- جمهرة أنساب العرب — لابن حزم الأندلسى
تحقيق عبد السلام هارون
دار المعارف ـ القاهرة ١٩٧٥م

١٨- حلية الأولياء — لأبى نعيم الأصبهانى
مطبعة السعادة ـ القاهرة ١٣٥١هـ

١٩- الرسالة المستطرفة — للكتانى
دار الفكر ـ دمشق ١٩٦٤م

٢٠- سير أعلام النبلاء — للذهبى
بيروت ـ ١٩٨٥م

٢١- شذرات الذهب — لابن العماد الحنبلى
نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٠هـ

٢٢- صفوة الصفوة
لابن الجوزى
الهند ١٣٥٥هـ

٢٣- طبقات ابن سعد
تحقيق إحسان عباس
دار صادر - بيروت ١٩٦٥م

٢٤- طبقات الشافعية
للسبكى
تحقيق محمود الطناحى وعبد الفتاح الحلو
القاهرة ١٣٨٣هـ - ١٣٨٧هـ

٢٥- طبقات الشيرازى
تحقيق إحسان عباس
بيروت ١٩٧٨م

٢٦- طبقات العبادى
تحقيق غوستا فيتسنام - ليدن ١٩٦٤م

٢٧- طبقات القراء
لابن الجزرى
برجستراسر ١٩٣٣م - ١٩٣٥م

٢٨- طبقات القراء
للذهبى
تحقيق محمد سيد جاد الحق
دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٦٧م

٢٩- طبقات المفسرين
للداودى
تحقيق على محمد عمر
طبعة وهبة-القاهرة ١٩٧٢م

٣٠- طبقات المفسرين
للسيوطى
طبعة وهبة - القاهرة ١٩٧٥م

٣١- طبقات ابن هداية الله
تحقيق عادل نويهض
بيروت ١٩٧٨م

٣٢- العبر
للذهبى
تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد
الكويت ١٩٦٠م- ١٩٦٦م

٣٣- فوات الوفيات — لابن شاكر الكتبى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد
القاهرة ١٩٥١م

٣٤- القاموس — للفيروز ابادى
المطبعة المصرية ١٩٣٥م

٣٥- اللباب — لابن الأثير
نشره القدسى ـ القاهرة ١٣٥٧هـ

٣٦- مرآة الجنان — لليافعى
حيدرآباد الدكن بالهند ١٣٣٨هـ

٣٧- ميزان الأعتدال — للذهبى
تحقيق على محمد البجاوى
الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٢م

٣٨- نكت الهميان — الصفدى
تحقيق أحمد زكى
الجمالية بمصر ١٩١١م

٣٩- الوافى بالوفيات — للصفدى
استانبول ١٩٣١م

٤٠ - وفيات الأعيان — لابن خلكان
تحقيق احسان عباس
بيروت ١٩٨٤م

١- المراجع

١- أحمد أمين
* ضحى الإسلام
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٢م
* ظهر الإسلام
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٦م
* فجر الإسلام
النهضة المصرية - القاهرة ١٩٦٠م

٢- جولد تسيهر
العقيدة والشرعية فى الإسلام
ترجمة الدكتور محمد يوسف موسى وعلى حسن عبد القادر وعبد العزيز عبد الحق.
دار الكاتب المصرى - القاهرة

٣- خير الدين الزركلى
أخوان الصفا
المكتبة التجارية الكبرى ١٩٢٨م

٤- سليمان دنيا
تحقيق كتاب «معيار العلم»
* نشر دار المعارف - القاهرة ١٩٦١م
تحقيق كتاب
* تهافت الفلاسفة
دار المعارف - القاهرة ١٩٥٥م

٥- محمد عاطف العراقى
مذاهب فلاسفة المشرق
* دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨م
* الفلسفة الإسلامية
دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨م
* النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد
دارالعارف - القاهرة ١٩٩٠م

فهرس الكتاب

التنفيذ الطباعي
شركة
سويدان وأبو ظهر
بيروت . ص ب: ١١/٩٣٥٤

من هذه السلسلة

- أسرار الحج ... للغزالي
- بداية الهداية ... للغزالي
- معارج القدس ... للغزالي
- بغية الطالبين ... للغزالي
- مفتاح الفلاح ... لابن عطاء
- التنوير في اسقاط التدبير ... لابن عطاء
- لطائف المنن ... لابن عطاء
- الحجالة ... لابن العربي
- اصطلاحات الصوفية ... لابن العربي
- الوصايا ... للامام الرفاعي
- مشكاة الانوار ... للامام الرفاعي
- الدرة البيضاء ... لابن العربي

مكتبة مدبولي
القاهرة